



رسالة البيان

❦ في ردّ جنایة اليد واللسان ❦

❦ عن مقام مولانا السلطان ❦



وهي جواب عن سؤال يتعلق بحزب تركيا الفتاة

ودعوته للإصلاح



(تأليف)

❦ داغستلی شمعان زاده عبد الله بك ❦

{ طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٩٠٠ }

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اللهم ﴾ انا نسألك أن توفقنا لطاعتك . وتصلح أحوالنا بمعونتك ولا تجعل حظنا من معرفة الحق معرفته . دون كشف القناع عنه . ولا نصيبنا من الانصاف الاتصاف به دون الحث عليه . ولا تجعل المكروه الينا بمحصائد ألسنتنا فاننا لا نعلم طريق السلامة من الهلكة . ولا سبيل المنفعة من المضرة . حتي نحاسبنا بالتكليف والامتحان وأنت تعلم ذلك فينا تباركت ربنا وتعاليت

وصل اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمد الذي أظهرت دينه على الدين كله وآله وصحبه الذين قاموا بتعظيمه . وحفظ مناقبه . وحاطوا أشياعه . واحتجوا لآوليائه . وأعانوا على سنته . ولازموا طاعته . واتبعوا شريعته

﴿ وبعد ﴾ فقد وصلني كتابك الذي تتذمر فيه غضبا من الألم الذي استولى عليك من أفعال الزعانف الذين سمو أنفسهم (بتركياء القناه) وخرجوا على الدولة العلية العثمانية صانها الله . جاحدين لاحسانها . متمادين في الطغيان عليها . حاكين لنقمها . ساكتين عن نعمها . ملزمين الاكابر فيها ذنب الاصاغر منها . حاكين على المجتهدين بتفريط المقصرين . وكل هذا من غير دليل ولا حجة الا ما يدعونه من دعاوي التي نجيعها ملقنة اليهم من أعداء الدولة والملة . ولشدة تأثير الصورة التي غدت فيها دولة آل عثمان على قلبك وهول الموضع الذي صارت اليه من الحياة السياسية غلب على ظنك امتناع رجوع هيئة الملك الي ما كانت عليه للحال الذي يشربسمر اجتماع الكلمة بعد

هذا التفرق الداخلي وأذاك حسن ظنك أن تسألني عن رأيي في هذا وذاك وهذه مشكلة ذهب التفاضل في علمها لأنها تبدت للعيون ظاهرة ظهور الشمس وعرف العامة كما عرف الخاصة أن هذا الهذيان لم يشتهر أمره الأعلى يد جماعة من البسطاء الذين سخرتهم الاعداء لنقله وإشاعته وهولتو ساقط ولكن الصمت عنهم ممن جرب الأمور وشا كل الرجال ونازع الحصوم استهتاراً بهم لا عجزاً. جعلهم يظنون في أنفسهم أنهم عرفوا ما يجب على العقلاء معرفته والاقرار به وأنهم أهل لدعوة الخلق للحق وإرشادهم للهدى وأمرهم بالرشد والتقوي

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه ما لا يري والسبب الذي أدي هؤلاء الزعاف لذلك لم يفت علماء السياسة الكلام عليه لأنه يوجد في كل جيل ومن خصائص كل سلطان ومستلزمات كل دولة وهو لا يحتاج إلى تعريف لأن حوادثه المشؤمة التي تحمل على أمور الدين والدنيا في البقعة التي يظهر بمرئيته الحيثة فيها كافية للدلالة عليه وهذه الجمعية هي بعينها التي قامت عندكم في مصر في سنة ٧٩ أفرنكيه مسخرة لاختلال الحكومة المصرية وإيقاع النفرة بين التابع والمتبوع ودعت نفسها (مصر الفتاه) وكتبت لأئحة اصلاح ظهرت بركتها باحتلال الانكليز مصر بعد سنها بسنتين. وهي التي ظهرت في بلاد المعجم ودعت نفسها (ايران الفتاه) وعلى أثر ظهورها قتل الشاه. وهي التي يكاد المتوسع في بيان أمرها أن يقول انها من بقية أولئك الذين قاموا وحاسبوا سيدنا عثمان بن عفان على أعمال عماله الامويين بالامصار وقتلوه في داره ظلماً وكان من نتيجة ذلك ما كان من شقاق الامة واقتراقها مئاث من المذاهب * وهي السلاح

الوحيد الاخير الذي يستعمله العدو الألد ليجهز على بقية الدولة والملة فان نصرك الله سبحانه وتعالى عليه وفلته ذهب كيده أدراج الرياح والآ فانه القاصم لظهر الدول المبيد للملكها والعايز بالله

وانى مبتدئك بما قاله علماء السياسة في ذلك ليكون مقدمة لما يأتى من الكلام وتوطئة له (اعلم) ان من المتفق عليه ان كل سلطان في دولته لا ينفك ابداً أيام سلطانه من الناقم . والساخط . والزاري . والمتأول . والمعجب برأيه . والمحروم . واللثيم ولهذا سمي الاولون الحكومة (بقوة تحصل من اجتماع طائفة من الامة لامضاء مقتضيات الطبيعة على وجه يقرب من رضا الكافة لاستحالة الوصول لارضاء الجميع) فلا يجوز لاحد يعلم هذا أو يسمع به ويمجب اذا رأى من عرض الناس من يرتجل الكلام في الدولة التركية ارتجال المستبد ويتفرد به تفرد المعجب ويتعسف لذمها الممانى ويتكرر في هجائها الالفاظ حتي يصل بقول الزور والبهتان للطنن في حقها ويخاشن لسانه مقام الخلافة ويمتد بالسوء في جانب جاه أمير المؤمنين وسلطانه الاعز لان هذا الحال من محن كل دولة وينبغي أن يكون في هذه الدولة أشد لانها شجى في حلق الكثير وطبيعة خليفاتها فوق طبيعة السلاطين والملوك لان الناس تعرف به الدين والدنيا وينتفى بوجوده التباعد في النسب والتباين في السبب وهذا داء في صدور الاعداء لا شفاء له أبداً ولا يستطيعون غض أبصارهم عليه

وخصال سلاطين الاتراك والأتراك أنفسهم وخلالهم وتاريخ حياتهم وحالهم وحال دول النصاري وفعالهم يقتضي أن تكون هذه البلايا محيطة بجماعة المسلمين وهذه الفتن منتشرة فيما بينهم

لان الترك وهي الامة التي منبت جراثومتها أقصى جبال المغول ومنها
أوروبا وصفها حكماء العرب.حكيم بن ثور .وثمامة بن أشرس . وغيرها
بانهم شاركوا العرب في الحصال الكريمة والانساب الشريفة وهم أصحاب عُمْد
وسكان فياف وأرباب مواش فهم أعراب العجم لم تشغلهم الصناعات والتجارات
عن النزو والغارة والركوب والصيد ومقارعة الابطال وتدويخ البلاد لنتهم
في الحرب وهي نخرهم وحدثهم وسميرهم وهم أهل الجد والعمل (قال بعضهم
لو حصرت مدة التركي وحسبت مدة عمره لوجدت جلوسه على الارض
نادراً) وليس بعد عاد وثمود والمالقة الذين وصفوا بالشدة والمظمة مثلهم
كأنما خلقوا لقلب الدول وتأيد سلطانهم

ولما سطع نور الاسلام عليهم تلقوه بأحلام كاملة وعقول راجحة وتهذبوا
بآدابه فكملت أخلاقهم وشمائلهم وعقولهم وأحلامهم وآدابهم وفطنهم وصلح
حالمهم وفطنوا الي وجوب نصرته وتمزيق ملك عدوه وجذ أصل معانده وأن
لا يتركوا ملكا تناله الحوافر والاقدام الا أزالوا صاحبه عنه وتحولت حالتهم
فبعد ان كانوا فرقا مقاتلة بعضهم لبعض عدو ميين أزاح الله عنهم علة البغضاء
وألف بين قلوبهم فظهرت خصال الشرف الكامنة ووافت معاني الكرم
الباطنة وبدا ما تضمنته الاعراق الكريمة من الموائد الحسنة واجتمعت
الكلمة وتآلفوا أمة عظيمة اندفعت على الامم التي حولها آخذين في تشييد
الدين الذي دانوا به والذب عنه واعلاء كلمته ونصرة نبيه حتى ظهر مجددم الراسخ
وبان حسبهم الثاقب وأصبح ديدنهم الرياسة والملك يتوارثون سلطانها سلفا
عن خلف وخلفاً عن سلف وآخرأ عن أول وأولاً عن آخر بما لا يستطيع
أن يمجده جاحد ولا ينكوه معاند

القوم ظل الله فيهم دينه * وهو على جبل الملوك الراسي
في كل جوهرة فرند مشرق * وهم الفرند لهؤلاء الناس

وهذا الفضل جعل هذه الامة فوق الامم لانه ان كانت الانصار نصرروا النبي صلى
الله عليه وسلم في أول الزمان فالترك نصرروا دينه في آخره ولم ير الناس كمجيب
شجاعتهم ولا كغريب نجاتهم لاننا لم نسمع بشجاع أبداً الا وله مرة جولة ومرة
فرة ولا يستطيع زنديق أو منافق أن يحدث أن تركيا فر من حرب أو تهيب من
ضرب وقد تقدمتهم البشارات على لسان سيد البشر صلى الله عليه وسلم
« لتفتحن القسطنطينية فتم الامير أميرها ولنم الجيش ذلك الجيش »

يعرف ذلك الشامي والحجازي والبغدادى والعراقي واليهودى والنصرانى
بل لا يأتى من يقول ان خصال الشجاعة كلها اجتمعت فيهم فسواء عندهم
أن يقاتلوا بالليل أو يقاتلوا بالنهار أو يحاربوا على الماء أو يحاربوا على الارض
فهم فى المحلة والقرية والمضايق والشدائد والميادين والمفاوز واحد وهم أهل
الصبر على الشدة واحتمال المكروه فى سبيل الدين

فالذى ينسب الصناعات للصين والحكمة لليونانيين والشعر والادب للعرب
لا بد أن ينسب معرفة الحروب للأتراك فان الله تعالى لم يخلق أمة تلقاها بأنفس
مجتمعة وقوة وافرة وأذهان صافية مثلهم وأراك لا تنكر ان كنت منصفاً ان
بعض هذه الملل تصير أصغر النفوس أكبر همه وأرفع درجة لان حالة النجدة
والقروية لا تستكمل الا بأسباب ومعان منظومة وخصال عجيبة تشهد لاهلها
بالكرم وبمد الحمم وطلب الغاية وتدل على الادب الشديد والرأى الاصيل
والفطنة الثابتة والبصيرة النافذة لان صاحب الحرب لا بد له من علم وحلم
وحزم وعزم وصبر وكماتن وثقافة وكثرة تجربة وبصر بالحيل والسلاح وخبرة
بالرجال

بالرجال والبلاد وعلم بالمكان والزمان والمكايد ودراية بما فيه صلاح الامور كلها والا فكيف يصل بالقهر والغلبة الي فتح بلاد ليست له وأخذها من يدها واستعبادهم وقد خلقهم الله أحراراً الا بهذه الحصال والملك لا يستقيم الا باسباب متينة تزيد في تمكينه وتقطع أسباب المظمة فيه وتمنع أيدي البغاة من الاشارة اليه فضلا عن التسلط عليه

وناهيك بأمة لم يزد عددها على الاربعة عشر مليوناً من النفوس واقفة بالمرصاد من يوم أن سواها الله تعالى لاربعمائة مليون من النفوس من غير دينها تناوينا الشر وتترصد لها بالفدر وهي لا تبالى بهم قائمة بأمر دينها وملكها ناضرة الي باذخ مجدها وشرفها ليس لها شغل الا الحوطة على الشريعة والسنة وتأمين جماعة المسلمين على كتبهم وأسفارهم وحفظ دينهم من كل شرفلو أنزلنا الناس منازلهم ووفيناهم حظوظهم من الحياة الدنيا فالترك حراس البيت العتيق الحرام بيت الله وأهله وحجابه وزواره وزمزم مزمم جبريل صلوات الله عليه والحجر الاسود ومقام ابراهيم خليل الله صلوات الله وسلامه عليه وكلما اطوفت الناس بالبيت العتيق وتقدم البنيان عليه وتعاوره كرور الزمان وزاد فضله على سائر البلدان التي لم يخل منها بيت من البيوت المقدسة ازداد فضل الترك على سائر البشر لانهم وقفوا أنفسهم وسيوفهم ورماحهم وخيلهم عليه

ومقام النبي صلي الله عليه وسلم وقبور عترته وصحابه رضى الله عنهم مصانة بأيديهم وكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه محفوظ بخدمتهم محروس بسيوفهم ولا مشاحفة في تمام اعتقادهم وحسن اسلامهم يدل على ذلك قيامهم بانكاحه عن الدين والمسلمين دون غيرهم من مسلمي

أهل الارض من عجم وغرب وعرب فلا عجب ان كانوا مرمي سهام أوروبا بأجمعها والمقصودين منها في كل تهديد ووعيد ديني عند ما يريدون انفاذ غرض لهم دون غيرهم لانها فرغت من غير هذه الدولة واستأنست منهم خيراً ومما يدلنا على تأييدهم بروح الله أنهم على هذا الحال منذ نشأتهم من سبعة قرون تبدل فيها الزمان وما تبدلوا وتحولت الدنيا ولم يتحولوا وسوى الله سبحانه وتعالى بين الابناء والآباء فلا يختلف جيل عن جيل ولا تحذو طائفة الا طريقة من قبلها فان كان الذي بين أيدينا من أسباب حفظ الدين التي شرحناها لك حقاً فاننا لم نستوثق عليها إلا بهم

ومن لطيف ما يستظهر به على فضل الترك أن سيدنا عمر بن الخطاب لما أنفذ الجيش الذي كان جهزه سيدنا أبو بكر لغزو بلاد القرس وفتحوا المدائن واستأصلوا القرس وصارت الدائرة عليهم واتبعت العرب أثرهم أمر سيدنا عمر بن الخطاب بتوقيف القتال وعدم الانسياق في بلاد الترك « التي هي بلاد المنول والتركمان » فكانه رضي الله عنه رأى بعين بصيرته وليست بأول مرآتها أن هؤلاء القوم سيكون لهم في الملة شأن يذكر وأن الدين الاسلامي لاحق لهم عن قرب وكان كذلك فانه لما آلت الخلافة الى بني أمية وتولى عبد الملك ابن مروان واشتغل بالفتوحات وولي قتيبة بن مسلم الباهلي غزو الترك الشرق دخل في جبال المنول فقبل أهله الدين الاسلامي بكل شوق وساعدوا العرب على التفتح ونخص منهم قبائل بلخ وما جاورها حتى تم للعرب فتح تلك البلاد ودخلت الصين وأخضعت بعض ملوكها وأخذت منهم الجزية وهم صاغرون هذا بمجمل حال القوم اختصرناه اختصاراً لا يمل منه سامعه وكل خصلة من خصالهم التي ذكرناها تقوم عليها ألف حجة من بيان وألف شاهد من

عيان حتى ان الذي يسمها ولا يقبلها لا يشك في أن كفره بها كفر حمية وجهالة
لا كفر دليل وبرهان

والترك لهم من غرائب الاعمال مالو أسند وقوعه لنبي من الانبياء، لجاز
دخوله في باب المعجزات فكيف تري تسير السفن على اليبس مسافة فرسخ
عند حصار القسطنطينية من المكان المسمى طوليه بنجته الى المكان المسمى
قاسم باشا والارض مغطاة بالواح الصنوبر المدهون بالشحم كل هذا في ليلة
واحدة حتي اندهش المحصورون تمام الاندهاش حينما شاهدوا أسطولا من
السفن الحربية انحدر من الشاطئ الي مينائهم الحصينة انظر ما قاله البرنس
ديمتريوس كاتتير المؤرخ وحكاة عن حصار الاستانة ورواية المؤرخ روكا
وأنت تعلم مما وقع من الافعال قدر أولئك الرجال

أما الحكومة التي تحكمهم فان لم يكن لها فضل الآ قوة تسخير هذه
النفوس حسب ارادتها وادخالها تحت طاعتها وانها انتقلت بهم وبقوة تديرها
من قرية الى بلد الى مملكة الى اقليم الى أقاليم حتي لم يبق في قارة آسيا موضع
مالا او وطنه ولا في غيرها عدو ما دهمته ولا حاربه الا وغلته لكفى وكان في
هذا القول مقنع وأي مقنع انظر بعين الانصاف تجد ان هذه الامة لم ينشق عنها
عماء العدم الا وكل فرد من أفرادها كون على حدة واستملت على معاصريها
حتي حسدوها على منهجها وغبطوها على شرعتها . ولكنني خوفا من أن تقول
(لا يدرك المجد بالصراع) وتطلب مني أن أطلعك على شيء من مدينتهم التي
جاروا بها الامم وسلكوا بها سبيل التقدم استجمعت لك بعض الشيء الذي
وعيته في ذهني من أعمالهم وهو أصل تقدر لو انصفت أن تبني عليه
فروعا كثيرة

تعلم عافاك الله أن التسامح في الطباع أمر لا يمكن أن يتصف به غير
الانسان الكامل فانهم قالوا في الآثار (لا يزال المهرج ظاهراً متى كان التغابن
بادياً) والخروج عما في اليد من المال والنعمة والسطوة والعزة لكل من وسم
بالانسانية بدون رعاية مقيدة ولا شرط متفق عليه من أخص خصائص
الفضائل لانهم قالوا من عز بز ومن قدر قهر. ولذلك فاني سأبين لك معاملة
الأتراك مع أعدائهم وأخصامهم حتي تأخذ منه بقدر حاجتك وتحكم بانصافك
على من تكون هذه معاملته مع عدوه أيمن أن يتصف بالشر والفدر مع
أبناء جنسه

وذلك انه بعد فتح القسطنطينية (الامر الذي كان حاجة في نفس كل
مسلم من عهد حملة سيدنا سفيان بن عوف التي أمره عليها سيدنا معاوية رضى
الله عنهما في سنة ٤٧ هجرية وما أعقبته من الفتوح) وتملك بيت المقدس
كما سيأتي . تمّ للتركي أن يكون قابضاً على كرة العالم بيد قدرته المطلقة وعظمته
الوافرة ديانة وسياسة يلعب بها في فضاء الفلك لا يستطيع أي جبار في الارض
أن يقوم بين يديه بحركة الشفتين لان دخول القسطنطينية في يد الترك أولاً
ودخول الارض المقدسة في يدهم ثانياً لا يشبه حادث تاريخي ويكفي أن الاول
اعتبره المؤرخون في الآفاق حداً فاصلاً لزمان تاريخ القرون الوسطي عن تاريخ
الازمنة الحديثة لان الكثير من الملوك راحه فامتنع عليهم ولم ينالوا شرفه مع
ما صرفوه من الهمم والاموال وأفنوه من القواد والرجال . ويكفي أن الثاني
كان ولا يزال موضع عبادة الامم تنفاني فيه النفوس كلما وجدت لذلك سبيلاً
ولكن مع جلالاته بهذا المقدار لم يغير من أخلاق التركي الكريمة شيئاً فلم يبدل
سجايه

سجاياء ولم يحلج جباراً عنيداً غشوماً ظلوماً كما أحوال أقل فتح أو انتصار طبيعية
كثير من ملوك الدول والامراء وأقرب مذكور وعود بريطانيا في مصر بل
أبقته على حاله من الشفقة والرحمة لانه بعد ما أتم الدفاع عن أملاك المملكة
وصونها والاستمتاع بها بدأ باعطاء حرية الاديان للشعوب وأبقى لها دينها
وكنائسها وجنسياتها ولغاتها ومكاتبها وأباح لها أن تقيم شعائرها القومية والدينية
المقدسة بالفرايين الصادرة من نفس سلاطين آل عثمان لا خوفاً من أوروبا لان
أوروبا كانت تخاف على ذاتها منه فضلاً عن ان تتدخل بحرف واحد ولا خوفاً
من عصيان تلك الامم لان السيف التركي أخاف منهم النطف في الاصلاب
قبل أن تخلق فما كانت تلك الامتيازات التي يحتج بها الناس اليوم الآ رافة
بالشعوب الضعيفة وخدمة للعالم الانساني من أولئك الجبارين الظالمين الذين
استنزفوا دماء الضمفاء باسم التمدن واحتكروا المنافع والاعمال والصنائع
ووسائل الحياة بل منافذ الضوء والهواء بل كل ما يجري تحت تصرف الانسان
فليتأمل الناظر في تسامح الدولة في الوقت الاول للنصارى وقسهم ورؤسائهم
ومجاملاتهم في المعاملة أزمان أن لم تكن مقهورة على فعل ذلك ولم تكن أوروبا
متحدة على طلباتها ولينظر أخذها الآن على يدهم وامتناعها عن اجابة أوروبا
في كل ما تدعيه اصلاً حال يعرف ان الفضل المتقدم كان من السجاياء الفاضلة
الغريزية وان المنع الحاصل الآن هو من الحزم المدوح لا كراهة في ذات
الاصلاح

اتفق العلماء الذين بحثوا في سبب اباحة الدولة العلية للدول والاجانب
الامتيازات الشاذة عن القوانين المقدسة على انها لم تمنحهم اياها الا كرامة من
عندها لانها لم تكن مضطرة اضطرارها الآن لمطالب أوروبا بل كانت وقتئذ

في عفوان دولتها ذات قوة ومنعة لا يرهبا وعيد ولا يهولها تهديد ولان الدول المسيحية لم تطلب منها تلك الامتيازات بصوت واحد ولا توعدتها بمحشد الجيوش ومعاملتها بالقوة والاكره اذا هي لم تعطها ماطلبت عفوا فالسلاطين لم يفعلوا ما فعلوا اكرهاها بل عن طيب نفس وخاطر ولم يعتنوا بمزج الشعوب التي أخضعوها وجعلها أمة واحدة بل حفظوا لتلك الشعوب صيغتها وتقاليدها الاصلية وعدوها كأجنبية عنهم واستشهدوا على ذلك بأن السلطان محمداً الفاتح نصب بطريركاً للروم في القسطنطينية وأعطاه الامان على دينه وسلطانه على أبناء طائفته فبقى الروم ممتازين عن القاطنين ولم تسع الحكومة قط في مزجهم بسائر رعييتها ولا حاولت تغيير عوائدهم ودينهم فكان بين الفريقين حد فاصل ولكل منهما حياة خاصة وهذا التفريق هو الذي أبقي لتلك الشعوب استقلالها ومكنها من حفظ جنسيتها وحياة أمتها على مر السنين فمعد ما كفرت النعمة وخرجت عن الطاعة لم يصعب عليها الانضمام لانها منضمة من قبل ولقد ذقت الدولة وآباعها من هذا التساهل مرارة الى اليوم وهو عند أرباب السياسة غلط كبير فان هذا الفعل لم يفعل بحجة شرعية ولما كان في غير موضعه نجمت عنه الاضرار الجمة وجاء في مقام العظة لاوروبا الآن فانها لم تستمر بعد قرية أو بلدة إلا استبدلت أخلاق أهلها فضلاً عن ديانتهم واستنزفت دماءهم فضلاً عن ثروتهم وارتكبت أنواعاً من الفظائع المنكرة تستك من هولها المسموع وتبرأ منها الحمجية كل ذلك بدعوي ارباب البلاد حتى لا يمكنهم أن يثوروا بل ولا ان يتفكروا في الثورة والخروج عليها واذا أمكنهم شيء من ذلك بعد طول الامل فالنجاح يكون بعيداً عنهم ثم ارحل ومما يدل على ان هذا الفعل فاق عن حده بل زاد عما كانت تنتظره النصارى

لأنفسها قول فولتير بعد روايته حوادث هذا الفتح وتكلمه على ما أبقاءه السلطان محمد الفاتح في يد النصاري من الكنائس والصوامع بما ترجمته
ان الاتراك لم يعاملوا النصاري بقسوة كما نعتده بل فاقوا في ملاطفهم اليهم نفس أهل ملتهم ولا تجيز أمة من أمم النصاري أن يكون في بلادهم مسجد للمسلمين أصلاً بخلاف الاتراك فانهم يسمحون للمقهورين بأن تكون لهم كنائس وكثير من هذه المعابد بجزائر الأرخيل تحت مراقبة حكامهم ثم قال في موضع آخر ما ترجمته

ان مما يثبت صراحة أن السلطان محمد الفاتح كان حاكماً علياً في تركه للمسيحيين المقهورين الحرية في انتخاب بطريق لهم وتبتيته له مع التعظيم وتسليمه عصا البطريكية والباسه خاتماً حتي قال له البطريق اني خجل مما لا يقته من التبجيل والاحتفاء الذي لم تفعله ملوك النصاري مع أسلافي ومع هذه المعاملة التي شهد بها البعيد قبل القريب والمدو قبل الحبيب فقد أثار هذا الفتح عوامل الغضب والحقد عند ممالك أوروبا وكان سبب الحملات الصليبية التي جهزها ملوك النصاري خصوصاً عند بابا رومية كالكتوس الثالث لما كان يرجوه من ضم الكنيستين الشرقية والغربية الى بعضها فسمي حتى تم له تأليف حملة صليبية وأغار بها على حدود المملكة العثمانية بأوروبا سنة ٨٦٠ الموافقة لسنة ١٤٥٦ وكان ما كان من إثارة نار الحرب بين الطرفين ولكن كتب الله للمسلمين النصر ففتحت بلاد الصرب وغيرها وفقدت تلك البلاد امتيازاتها تماماً

هذه معاملة الاتراك مع أعدائهم في سنة ٨٥٤ أي قبل سنة ٦٠٠ أزمان انفرط سلك العدل والانصاف . ونماء الجور والاعتساف . ولنا أن نذكر

الآن لأعمال أوروبا ومعاملتها لطوائف المسلمين أيام المدينة والمدمران
والرافاهية

هذه بلاد للترانسفال تعامل فيها طوائف المسلمين معاملة البقر يسمون
كل لابس طربوش أحمر (كولي) وهم اسم طائفة من فرقة المجوس
ويعتقدون أن الاسمر ليس من ولد آدم ولا يسمحون لهؤلاء ولا هؤلاء
بركوب الدرجة الاولى والثانية بقطارات السكة الحديد بل يركبونهم عربات
مكشوفة أشبه بمربة الحيوانات بل هي هي ولا يبيحون لهم أن يجلسوا في
مواضع الاستراحة ويؤدبونهم بالسوط ولا يجيزون لهم أن يمشوا على حواشي
الطريق المحجرة (الترتوار) ولا أن يقف المسلم الأبيض أو الأسود بجانب
الاجنبي أمام القضاء وقد ظهرت منذ مدة حالة وبائية فاذاقوا المسلمين من
المعاملة ما حجب لهم الموت بها منعوهم من تفصيل أمواتهم وحكموا عليهم
بأن يطلونهم بالنورة والقيولف (وهو نوع من الزيوت ذو رائحة كريهة)
فضلا عن التضيق عليهم في المحاجر فلا طعام ولا شراب ولا راحة ولا نوم
الارض وسادهم والسماء غطاؤهم مع شدة الحرارة التي لا تطاق وزيادة رطوبة
الليل وجميع المسلمين الذين هناك يبلغون (٣٦٠٠) مسلم وهو عدد لا يعد
في جانب النصاري هناك ولكن وجود مسلم واحد شجى في حلق النصاري
لا يهدأ لهم بال ولا يستريح لهم خاطر حتى يبيدوه على غير ذنب جناه الآماله من
الفضل المتقدم ومن هنا تعلم أن المسألة الشرقية التي هي عبارة عن كراهة وجود
الترك بل الاسلام في قسم أوروبا نشأت مع الدولة نفسها من يوم أن دخل
تحت يدها ذلك القسم وأسست عليه دولتها الفخيمة فالدول الأوروبية
تطاردنا عن هذه القارة والذي قوي هذا العزم وعم أسبابه موضع الدولة من

جهة وتوالى الفتوحات من جهة أخرى فان الانتصارات أحدثت في نفوس
الامم المقهورة عداوة شديدة وموضع الدولة بلغ فيهم بالنكاية مبلغها لانها
في الشرق ولانهم في الغرب والشرق من تواريخ لا يهتدي اليها مفضل عن
الغرب مشدد في احترامه قال ذلك مهاباد صاحب الدين الاول وكيومرث
وزرادشت والمسيح عليه السلام وبودا صاحب الدين الصيني والاديان
الاخيرة التي ظهرت من زمان سيدنا ابراهيم عليه السلام كلها في الشرق
والقبلة في الشرق والحال يدل على انه محل لمدينة عظيمة ومملك عظيم وعلو
وصنائع ذات شأن وشرائع أبدية لا تنتهي فان كانت الارض شطرين شرقا
وغربا فنصفها حي ونصفها ميت

ويكفي لتحزب النصارى على دول الشرق وبمباراة أخرى على الدولة
العلية كون أرض سوريا التي هي أقدس مكان عندهم تحت يدها وفيها مبعث
ابناء نبي اسرائيل ومحل ميلاد السيد المسيح وأمه ومحل سياحته ووطن
معجزاته وقبره وميدان الدين المسيحي ووطن المعمودية والانجيل ومحل
معراج المسيح الى السماء وبيت المقدس الذي هو كعبة كل مسيحي والصليب
الذي الموضوع على كل قلب الذي تحيا عليه النصارى وبه تموت ونهر الاردن
الذي هو منبع ماء المعمودية التي يصالحها كل مولود ويودعها كل راحل فكما
أن العرب الذين حملوا الدين الاسلامي اليها لما استولوا على البيت المقدس
وعوم سوريا وازالوا علاقة الدول المسيحية مع قلبها ونشأة دينها ذاقوا اسرار
الحروب الصليبية التي أثارها بابا أورليان الثاني وغيره كذلك ينبغي ان تستعد
الدولة العثمانية للحروب الصليبية التي تثيرها علينا الآن دول أوروبا لان
استسلام عريستان للسلطان سليم رحمة الله عليه أتم على المسيحيين يأسهم من

تحرير وطنهم وأوجب عليهم تشديد الحصومة للشرق التركي باشد مما كانت عليه تلقاء الشرق العربي فان لم تكن الاتراك أهل عزم وحزم ولم يقيم بينهم الوازع الذي يدفع غارة هذه الامم المختلفة الجنسية والشعوب التي كل واحد منها يجر الي هواء لما بقي هذا الملك في يد أهل الامر منهم وانتقض ولم يتمكنوا من حفظه والحوطة عليه لان أصحاب البلاد كانوا ولا يزالون متكالبين عليها ومنتهى آمالهم أن يعيدوها جاهلية قيسرية وأهل هذا المذهب ليسوا صامتين فننطقهم لك حتى تصدقنا ولا لاهين عنه فننويهم لترضى حجتنا بل هم متعرضون له تعرض المستميت بعزم الواجد لا المتكلف ولا تزال حكماؤهم ينرون به سفهاءهم على طول الايام

وأحسن من هذا في بيان انتظام حكومتهم التجاء الامم الكثيرة والاجناس المتعددة ودخولها تحت الطاعة الذي لا يكون أبداً الا بعد تحقق العدل والانصاف فقدمها عدد وافر من اليهود والنصارى فارين من سوء المعاملة التي نالهم في مذاهبهم ومعتقداتهم والتجأت اليهم ملل الارض بأجمعها وهي عدد لا يمكن أن يتفق على ضلالة وأن يخطأ في خاصة نفسه بهذا المقدار فارين كذلك من ظلم المعجم وما ألم بهم من البلوي ودخلت طوائف أخرى ممن ابتلوا بالتهب والسلب وكل هؤلاء ذاقوا لذة العيش وهناء الخال وشهدوا ان الامتيازات الممنوحة للطوائف الاجنبية فيها تسامح كثير جداً

وقد عد كثير من مؤرخي النصارى مقدار ما افتتح من البلدان بقوة السلاح وبين ما اتى لها وأطاع بالمسألة والرغبة فكانت النسبة بينهما نسبة خمسة الي ثمانية وكل سلطان من آل عثمان يفتخر كثيراً بحماية المذاهب والاديان والنصارى واليهود لو أنصفوا لقالوا انهم في بلاد الاتراك آمن بكثير على أنفسهم

واعراضهم

واعراضهم وأموالهم منهم يبلاد النصاري خصوصا جماعة اليهود الذين هم محل الضعف والمقصودون بالحيف لما ييدهم من أموال الناس وقد امتدت هذه الحالة الحميدة ونطاق الحب متسع بين كل الطوائف الى أن انتهت المحاربات الدينية وحقن ما كان يراق ييد الاختلال وكفت يد الظلمة عن ابادة الانفس وازهاق الارواح التي لا تدخل تحت حصر في سبيل غاياتها الشخصية وانظفت نيران الفتن بين مذاهب الكاثوليك والبروتستانت وغيرها من ملل النصاري، وبطلت المجادلات القائمة بينهم فنظرت لنا أوروبا فلم يرق لها ما نحن فيه من الخير والاحسان وراحة القلوب والابدان وأرادت أن تعيد الجوي القديم فزينت لهم شهواتهم ركوب الاخطار .

نظروا في أصول الدين وفروعه فوجدوا سبيل جميعها غاية في الكمال ودلائلها وعلاها متساوية في درجة الوضوح تستولي على النفوس التي ترد عليها بقوة الحجة وظاهر الدليل ثم قابلوا ما عندنا بما عندهم وصدقوا أنفسهم في البحث فلم ينصفهم العقل ولا القياس فساءهم ما رأوا من صلاح ما نحن فيه وفساد ما هم عليه وأبت طبائهم نقلها عن عاداتها التي ألفتها وعز عليهم أن يخضعوا أنفسهم بالقهر والغلبة فلم يسعهم الا السعى في احباط مساعيها

نظروا فروا ان البلاد لا تلج يلها ولا عواصف تذررها ولا حوادث تفنيها وليس الا مزايا الطبيعة الجميلة فيها اعتدلت فيها الاخلاط وتساوت الاسباب وتكافأت الملل ورأوا في الامة حركة من غير ثوران واجتماعا من غير فراق وزيادة من غير نقصان والناس أصدق ورعا وأبد هم وأقل اختلافا وأدوم على الحق طريقة وأبذل عند الطلب مهجة وأقل منا وجمعا لانهم أظفر زهدا وجهداً تخافوا على طوائف المسيحيين الذين تحت حكم الساميين أن

يصيروا الى هذا الاصل المشتل على هذه المكارم الحققة وخافوا عليهم من ترقبهم بحاسن الاخلاق الظاهرة الطاهرة فأروا أن يستعينوا بالسنة المرسلين الموكلين بالا كاذيب والاضاليل ينشرونها فقاتل مأجور لسامع محبوب وناصر غاش وأمين غير مؤتمن وهؤلاء الخونة يقولون تحت دعوي هداية الافكار التي تدعي القيام بها جماعة الكتاب كل رذيلة تثير الافكار والخواطر وتشعل نار الحق والبنفاء يريدون بذلك تغير النوايا على ملة الاسلام من كل جانب وانقلاب قلوب رعاياه ليتمكنوا من نقض الاساس وابادة الحكومة وتبديل هذا النظام واطفاء نور الله وبأي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

وستار التمويه التي اتخذته دول أوروبا لتشخص من خلقه هذه الألاعيب السياسية لترويج مقاصدها الدينية وتحمي منافعها الباطنية بسببه دعواها زورا على رؤس الاشهاد انها لم تبارز أم الشرق والدولة الاسلامية وتحاربها وتستهن باراقة دماء عساكرها وتخرج من مالها ورجالها الا لأصلاح حال المسيحيين في الشرق وبث النمدن والحضارة في ارجائه شفقة على أهله الذين انهكتهم الوحشية والهمجية وحرموا لذة الحياة الدنيا ونعيمها وقد اختصت كل دولة بناحية وجهت اليها قوتها وهم متآزرون في كل أعمالهم باطنا والذي تولى اقامة الحد علينا لتأديبنا على ما اتهمنا به من الذنوب باطلا واخراجنا من الجمل الذي نحن فيه بيد فضله هي دولة روسيا كما نادت في الحرب الاخير بذلك

فقامت تخاطبنا بمظهر أوروبا بعد ان دست سم دسائسها في بلاد الدولة وجعلت آلتها في ذلك نصارى الروم ايلي الذين قلدتهم أيدي الدولة العلية اكبر الوظائف وأحرزتهم أجل علامات الرضا ولم تسكرهم على شيء أبدا مع القدرة عليه ولم تلزمهم الخروج من دينهم وتضطرهم الى اعتناق الدين الاسلامي

وهم ناقضون لمهودهم التي أوجبتها الشريعة الاسلامية الفراء وتسامحت
وتساهلت فنظمت مكاتبهم واداراتهم وحسنت أراضيهم ومزارعهم وساعدتهم
بما لم ينله أحد من الناس الا في ظل المسلمين صلاتهم قائمة غير ممنوعة
وعواندهم جارية غير مقطوعة فلا يعمد هدمت ولا كنيسة خربت
وهؤلاء وان كانوا ذاقوا هذه النعمة وتمتعوا بها وهم من أجناس متباينة وأهواء
مفترقة ومذاهب مختلفة ولكن تجمعهم المادة ويضمهم الاتفاق للرابطة
الدينية والشمال المهودة فيهم ان يكونوا علينا مع أوروبا لاننا فرطنا في الانتقاء
وأفرطنا في القربى لحد زاد عن الواجب بحيث لم نجعل بين المدو والحبيب
تفاوتاً أبداً حتي في المناصب المهمة والمكاشفة بجميع الامور فوقفوا على
سهول الدولة وجبالها وبرورها وبحارها فلما رأتهم أوروبا مستكلمي المدة
لا ينقصهم شيء الا التوجه للمقصد السيئ الذي يراد منهم دست اليهم
دسائسها فانقلبوا دعاة للنقابة الاورباوية وبهرجوا بالنخبة مع كل الدول الذاهبة
مع هذه الريح وغيروا سيماهم الموصوف ولباسهم المعروف واختلت مودتهم
وحلوا بأيديهم ما كان مرتبطاً بهم ليدخلوا سم الغرض والاختلال في تدبير
الحكومة وسيرها وقد كان

وهذا جزاؤنا ممن أحسننا اليهم وعقابنا ممن نصرناهم جملوا أنفسهم
ترجمة السوء ينادون بويلات الظلم والثبور للملل المسيحية ويحملون شغلهم
تبليغ ظلامه النصراري على الوصف الذي تريده أوروبا ليتمكنها اقامة الحجة على
غاياتها وحقيقة الحال غير ما يقولون

وقد جهد المرحومان على باشا وفؤاد باشا في هذا الامر جهدهما ووضعوا
تنظيمات جديدة لدفع هذا الخطر واعادة روح الحياة في الدولة وتخليصها من

هذه المشاكل وتوقال ان يقطع على روسيا حججها التي رتبها على اهانة الدين المسيحي في البلغار ويكفها عن الشكوي بلا موجب ولكن ماذا يفعلان وأوروبا لا تقترح أمراً إلا وفيه المنعز من جهة المتقدم والدين فان منعناه وحققنا أن نمنع رميناً بالتعصب الدني وان قبلناه واحتملنا الخطيئة أحدثوا في تنفيذ هذه إشكالا حتى تدعي علينا بأننا نقول ولا نفعل

ومع هذا عند ما رأت روسيا منا أخيراً شبه مقاومة معنوية في هذه المسائل نزعنا إلى الماديات فدبرت الحيل لنوال غرضها وهي محاربة الترك تحت عنوان انقاذ المسيحيين في الشرق وأول ما فعلته أنها سمعت في طرد بعض الجراكسة من بلادهم والجأتهم إلى الدخول في اراضي الدولة العلية وأوعزت من جهة أخرى إلى وكلائها في جهات البلغار ان يدفعوا البلغاريين الذين في جوار (ودين) على المهاجرة منها وانتظروا حتى خلت منهم البلاد وأمتها الجراكسة بضرورة الحال فنأى المنادى بان الدولة العثمانية أخرجت بسطوتها النصارى من بلادها واستماضت عنهم بالجراكسة ثم طلبت من الدولة اعادة البلغاريين لبلادهم التي تركوها باختيارهم وهو نحو ٣٠٠٠٠ فاستأجرت الدولة لهم سفناً وأوصلتهم إلى أراضيهم التي تركوها ورجعوا إليها لا بخلا ولا كراماً ثم سيرت روسيا فرقاً منتظمة من كيشنف على بطريق بكرش فمبروا الطونة بجوار زيشتوى ووصلوا بالقرب من البلقان فيما بين طيرنوي وسروي ودسوا دسائسهم للبلغاريين فردتهم الحكومة وشتتهم واعانها بعض الاهالى ثم بعد ان جاوزوا الحدود قتلوا ثمانية أولاد كانوا خارجين عن المدينة وأوهوا المسلمين ان النصارى قتلهم انتقاماً من المسلمين فقام المهرج والمرج في تلك الجهة وأوروبا مع علمها بباطن الامر صدقت على ان المسلمين

ظالمون للنصارى

ثم قبل ان تطوى هذه المسألة بيد الايام سعوا بحيلة أخرى وهى انهم استعاضوا عن ارسال معلمين روسيين لتربية أولاد البلناريين بان أخذوا أولئك الاولاد للمكاتب الروسية وبثوا فيهم روح الفساد حتى اذا عادوا لبلادهم يكونون من أهر الدعاة فى بث المبادئ قطعت وجاء أولئك التلامذة عاملين على نشر افكار البانسلاويزم (أي الجمية السلافية) فازداد الفشل والاختلال واشتدت الحركات السلافية وأحاطت المصائب بالدولة مما سلف ذكره وشددوا فى الاسباب حتى وقعت المحاربة المعلومة المشؤمة وتحريرات البرنس غورشاخوف التى نشرت فى جريدة بطرسبورج الرسمية المؤرخة ٩ نيسان سنة ١٨٧٤ تشهد على ان الغاية من الحرب لم تكن الوصول فقط الى حدود الاستانة بل وراء ذلك مقصد آخر

ثم رفع الامر الى مهبط حكمة التقسيم ومتنزل روح الشر والفساد مدينة برلين ولا يصح ان تنسى ان كان شىء ينسب ما تضمنته تلك المعاهدة التى دونها يد السياسى الشهير (بيسمارك) الذى لا يقدر قدره إلا الملة العثمانية والامة الفرنساوية

اجتمع المؤتمر فى ٣ يونيه سنة ١٨٧٨ وانتهى فى ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ وقضى على الدولة بالتمزيق فى مسافة ثلاثين يوما تقريبا فكانت المسئلة أشبه باتحاد الدول ضد فرنسا فى تقسيم بولونيا فى سنة ١٨١٥

وأغرب ما وقع فى احدى جلسات المؤتمر عند اعتراض مندوبي تركيا على اقتراح بسمارك احتلال جنود النمسا (بوسنه وهرسك) احتلالا لا أجل له * قول بسمارك (ان قصد هذا المؤتمر رعاية مصالح أوروبا والمدنية

لا مصلحة تركيا) ومع هذا التصريح فان انكثره بعد تأييدها هذه الآراء وعدم اعتراض مندوبها على شيء مما قرره المؤتمر ظهرت في آخر الامر بمظهر النفاق حتى تمكنت من أخذ قبرص وعند انصراف مندوبها من المؤتمر أعلن ان المؤتمر قوى سلطة الدولة العلية وايد سعادتها مع انه لا توجد اخصام اجتمعت لخداع خصمهم بوسيلة سافلة وطريقة غير حقّة مثل هذا الاجتماع أبدا وقد تحرك الشرقي الشرق بهذه الاسباب بدعوى وقاية النصارى وليس الغرض من هذا الاستخلاص المسيحيين الذين تحت حكم الدولة لاوروبا وتسلطهم على الدولة بالفتن والفساد ثم يقولون بعد ذلك للمسلمين ان كنتم تريدون الإقامة في هذه القارة كونوا نصارى كما قالت ذلك نصارى اسبانيا لمسلميها

هذا بعض حال الروسيا مع المسلمين وهي تستعد كل يوم لتجنيد الجنود وتحشيد الألوف على الحدود وتتربص الفرص للوثوب وانتهاز ساعة مناسبة للزحف لانها أشد الناس عداوة لهذه الملة للجوار فان عداوة الجيران شبيهة بعداوة الاقارب في شدة التمكن وثبات الحقد ولا ينسي مافعله غيرها على سبيل الموازنة في حل هذه الملة وابادتها حتي أصبحت الحياة السياسية العثمانية بل الملة الاسلامية في الشرق محفوفة بالمكاره محوطة بالمطامع الكثيرة من كل طرف

قد أصبحت أوروبا تحاربنا بالسلم تدعى انها في اتفاق معنا أو مع غيرنا يعود علينا نفعه وليس ثم اتفاق فيما بينهم فيما نسمع الا علينا سواء في ذلك الثنائي والثلاثي فان الاتحاد العظيم بين طوائف النصارى ثم على ان نكون بانفسنا وبلادنا وأموالنا بمثابة القربان والاضاحي لغاياتهم وقد حيل بين كل

مسلم وما يشتهي بحيث أصبح الانضمام متعذرا ولا بالروح والجنان لان بين كل بلدة وبلدة حائلا من غير جنسها يمنعها الالتئام وبين كل بدن وبدن حائل من الشهوات والغايات يمنعان الاتحاد بل الكثير منا ينطق بلسان عن غير ضميره وحسبنا خلافا بينهما في انسان

انظر لحيولة الروسية بين الفرس والأتراك بل بينهم وبين أصل شعبيهم ملايين التتر والماغول التي تحت يد الروسية الي متهمي سيبيريا ودون مصر والحجاز واليمن والهند والصين كل هذا ليمنعوا امتداد دواعي الاتحاد والاتفاق بل وجودها في الازدهان وليعلموا حالنا فلا تخني عليهم خافية أبداً

استغفر الله بل توصلوا لحل الرابطة الدينية وجعلوا اختلاف المذاهب وتنوع المشارب اكبر وسيلة لما أرادوا فاستعانوا بنا علينا وخربوا بيوتنا بايدينا فان بريطانيا ما استقرت في الهند الا بمعونة الافغان وفرنسا ماتم استيلاؤها على الجزائر الا بمساعدة المراكشيين والتونسيين وكان لدولة الايرانيين يد عاملة في انتصار روسيا على العثمانيين * فتى تتألف العناصر وتتلاصق الجواهر * وهذه الآلات عاملة على التفريق * تتوالي الفتن وتوغل الدول في قلوب بلاد الاسلام متفننة في الاطماع متلونة في الفتوح بالالوان الكثيرة فمنها ما يزعج مظهره وتفرع رؤيته ومنها ما يخشى مخبره وتحذر منبته ومنها ما يبهج منظره وتسر طلعه ومنها ما يخدع مبدؤه ويفر عقبه وتلك الالوان هي حماية المسيحيين * رعاية المصالح الاوروباوية . وقاية البلاد * اصلاح البلاد . باعادة النظام نشر المدنية * الاحتلال الموقت * الاستعمار وكل هذه الالفاظ لا معني لها الا استيلاءهم علينا وتملكهم لنا بدون حرب ولا كفاح * ينتر الجاهل بتنازعها الظاهري ويفرح المغتر بتوقف تيارها مسافة من الزمن

وانما هي حكمة من حكم الدهاء لتأكل الفريسة لقمة لقمة فلا يمسر عليها
الازدرداد ولا يتعذر عليها الهضم اذا هي التهمت مرة واحدة

وما كفى الغريبين هذا التسلاب حتي طلبوا منا ان نعتقد بان الغربي
هو النصوص المحض والمحبة الصوف وان لا يريد بجماعة المسلمين الا خيرا
ولا ينبغي ان يسأبه الظن أبدا لانه مبرأ عن النقيصة خال من العيوب
والزلل وهذه الشبهات المزورة والباطيل الموهمة تجت في صورة الحق
والبست على الناس بصناعة القول لان الغربي قد أصبح قادرا على أن يتحول
في هيئة المظلوم وهو ظالم ويصور الباطل في صورة الحق اذا شاء طفاوان
شاء رسب واشد ما سمع الناس ورأوه في معني دهائهم انهم يتراءون في مظهر
الانقباض والاسف اذا اتزوتنا عن نصيحتهم ويظهرون الألم الشديد اذا
نبذنا طاعتهم وأظهرنا عدم الانقياد لهم كأنهم يريدون ان يقللوا الينا صورة
معاشرهم ونظام أحوالهم لنعيش مثلهم في أرفه حال واطمئنان بال وابتهاج
خاطر ونكون عنهم خلفاء كما يفعل الربى بمرابه وهم أضن عافاك الله من
ان يفعلوا هذا مع من يشذ عنهم في البسائط من أهل جلدتهم فكيف بمن
لا يلتئم معهم في شيء ولا يلتقي معهم بطرف من كل طرف بلدا ودينا وسكنا
وملة وطبعا وعادة وانما الغرض من هذا ان يدخلونا في المضائق التي اتخذوها
لنا دون استصباح لداخل ظلمتها فنقع في أشد الحيرة ونهوي في تيار الغفلة
مم نستنجدهم فلا ينجدوننا وكيف ينجدوننا وهم يرجون لهذا الكيد مزيدا
فعل العدو البحث والظالم المحض

انظر للرومانين لما وصلوا الى التصرف بالامر والنهي في جميع الامم
ماذا فعلت بهم الاعداء سيروا أمرها بمسير الحكمة قطنوا الى أن هذا

السلطان العظيم لم يكن كله من طريق دربتهم بالحروب فقط بل بضمهم خصال الحزم والتعقل والثبات والميل الى الفخار وحب الوطن اليها فما زالوا حتى أزالوا هذه الصفات من ملوكهم وابدلوها بموائد السوء وخلال الفحش فاقلمت الدولة عن الفتح واستبقت الامة ما تحت يدها من البلاد فادخلوا الفساد على الرعية والقادة ليتسوا كيدهم فحسنوا لهم ان يستبدوا بالكلام على ملوكهم وكشفوا لهم الستار فظهرت للامة مغاير تلك الحاصل والاخلاق التي زرعتها فيهم يد الاعداء وأروهم كيف يفعلون معهم فمالوا بالشحناء وانقلبوا الى غير المقصود فلما تم لهم ذلك تم ضياع الملك والملة واصبح الكل مغنا للجميع والفريون يحفظون هذا ويعتقدون نجاحه وهو من أصح المحربات المحفوظة عندهم في معاطن الدسائس للاستفراخ منها كلما أرادوا ولا يجهلون ان الدولة التي قامت بالسيف تبقى بالسيف فلما اتصلوا بالمنقرات السياسية الى فسخ العزائم من الاقبال على محبة الوطن لم يبق عليهم الا ان يشقوا العصا ويسعروا نار الشقاق بين الامة لتقلب القلوب على بعضها وتغير النفوس على من يواليها ويكون من وراء ذلك ما يكون

وقد كان منهم ما كان من استهواء بعض البسطاء الذين جعلوا دينهم الطعن في الملة وهم منها والسب في الدولة وهم من عبيدها أولئك الذين يسمون أنفسهم بالاحرار المصلحين ولكن كيف نصدقهم بعد أن صرنا الآن في وسط تنور الفتنة وظهر لنا الشر من مطلع جرثومة الفساد وأصبح من الغفلة الظاهرة ان تحجب عن ابصارنا هذه المظاهر الشنيعة أو تتحول صورتها في العيون وفعلها في النفوس الى حال آخر يلجئنا الى القول فيها بغير الحق

تأمل الى متين كيدهم وأنصل سهامهم الموجهة الى المقاتل وانظر الى قلبهم كيان الامور واحالة اغراضهم الباطلة الى الطف صور الحق. أو عزوا الى انسخرين منا دعاة النقابة الاوروباوية فطلبوا من الدولة باديءً بدا فتح مجلس المبعوثان يوهمون القوم انهم ما ارادوا بهم الا خيراً طلبوا لهم الالفة والاجتماع والوحدة والاخاء في الدنيا والآخرة وهم في الحقيقة لا ينوون غير التفرقة والشور والاختلال والخلاف والمداوة والبغضاء * يعلمون كما نعلم بل فوق ما نعلم ان الشوري من قواعد الدين الحنيف ولكن ملاحظة حال الزمان والمكان أمر واجب وكذلك مطابقة الحكم للوقت والحال شرط لازم ويفقهون ان الشوري في أمة ترتبط برابطة الجنس والمذهب فيها جميع الخيرات وافضلها وأجلها واسناها وتبين دون كل خير من طريق الاصلاح وتزيد عليه ثم هي في ملة تختلف ديناً واعتقاداً واشتملت أيضاً على زعانف آخرين بمنزلة السم القاتل للتنافر والخلاف الطبيعي بين فكر وفكر ومصلحة ومصلحة

جنتاً بليلي وهي جنت بنيرنا * وأخرى بنا مجنونة لا نريدها
نعماً يلتقي الثقيان هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج والدين لم يأمر بل لم يرض الا بمشورة كبار من المسلمين معروفين كما يدل على ذلك مرجع الضمير في قوله تعالى وشاورهم في الامر فقد خرجت به قبائل خبير وأمثالها من المشورة

وتحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور وليس كل رأي صالح للعمل في كل آن فان من الآراء ما يلوح على ظاهره الخير وفي طيه البؤس فاذا فتح مجلس المبعوثان وحجىء من كل طائفة بمندوب من الملل التي تحت

سيطرة الدولة العلية التي يبلغ مجموعها ثمانية ملايين من كافة الشعوب المسيحية واليهود واستشير في أمور جماعة المسلمين وهو من عملة الدول في تشييد أركان الفساد الذي تهيئه أوروبا للعملة الإسلامية ووقع الخلاف المنوي عليه كان هذا المجلس شر ستار تم من ورائه جملة اغراض مضرة بجماعة المسلمين والامر ظاهره الرحمة وباطنه من قبله المذاب وناهيك بالمحرب المعلوم ظاهره وخافيه فاننا لم ننس ان كان شيء ينسى ان هذا المجلس هو الذي قضى على الدولة بمحاربة روسيا في وقت لا قبل لها به وكان عواقبه ما كان ويريدون الآن ان يجهزوا على بقية حياة الامة تحت ستار طلبات الامة وجماعة تركيا الفتاة التي تزعم ان روح الحرية والذب عن الوطن سرت فيها تؤيد هذه الطلبات وتصبح بملء فيها بضرورة فتحه لتظهر امام أوروبا بمظهر الحماية والاقدام

وترجو ربيما ان ستأتى صفارها * بخير وقد أعيت ربيما كبارها

ولئن قال قائل ما الذى يضطركم حتى تدخلوا مندوبين عن تلك الطوائف في مجلسكم هذا مع قلة عددها في بلادكم وعلمكم بانهم خونة وذريعة فساد والتجأتم الى إيقافه وتركتم المنفعة الكبرى التى تنتج منه قلنا اكرهتنا اوروبا على ذلك لان مصلحتها لا تقوم الا به والمظلمة فيه ظاهرة هذه انكثرت احدى دعاة الاصلاح تمد بما يقرب من ٣٣ مليوناً من النفوس وتحدث على ما يزيد على ٢٠٠ مليون من النفوس في الهند ليس في مجلس نوابها مندوب هندي ينوب عن أولئك المساكين مع تمديد طوائفهم واجناسهم والمجموع مندوباً هندياً رجل انكليزي ينكلم عن مصالح الهند في انكثرة من تحت هذه التسمية بلسان الانكليز وهذه فرنسا ولها من المستعمرات ما لتلك وفيها ما يقرب من تلك الطوائف وليس في مجلسها واحد من الامم التي تجبكمهم

فاوروبا بقوة جامعتها واتحاد كلمتها تعمل على ما فيه اعادة هذه الملة باى الطرق
الممكنة وكانت لا تبجر بنواياها هذه ولكن من عهد غير بعيد أظهرت الكامن
ومزقت الستر وحرمت علينا ما احلته لانفسها وحجتها في ذلك لا تفحم
السامع ولا تفوق حد الطاعة ولا هي من معجز الحديث ولكن كلام يكون
من ورأه ما يكون تعذر النفوس اذا اكرهت على قبوله أو أحجبت عن دفعه
أرى العناء تكبر أن تصادا * فمائد من تطيق له عنادا

والمصيبة كل المصيبة انتشار هذه الافكار ما بين رعايا الدولة فاصبحوا
ولهم من أنفسهم عدو وجروا على بلادهم الويل والحراب ولولا أن القائم
اطال الله ايام سلطانه

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى الاعادي فهو يقظان نائم

ثم على الاسلام ماتم

وطالما اتخذت أوروبا الحيل للاخذ على يد السلطان بدعوى الاصلاح
وغل يد المأمورين عن ان يفعلوا بل يفكروا في أمر لم يكن لأوروبا فيه أمر
ثم يرمون الاتراك بالجهل والخشونة لعدم طاعتهم لتلك النصائح ولكن
الاتراك لا يضرهم تقصيرهم هذا لانهم امتنعوا عنها وهم يعلمون انها احبولة
لما رب مخصوصة وهذا العيب الذى تميرهم به أوروبا ليس بعيب بل هو
من تمام الحزم ومعرفة ان السم فى الدسم ومن أراد ان يعير الاتراك فليتهم
ببدعة سيئة احدثوها في الدين أو طلب ان يستجملهم فى نزال المعتدين أو
يؤتيهم فيخفر ذمة الحافظين للعهد من المعاهدين

عجبا وأى عجب غلب القضاء علينا ليلونا الله فى أنفسنا رزقنا الله ذلاقة
للسان ووضوح الججة لغيرنا فنلتس له العذر فى باطله ونرجحه بالسبب

والعلة وحرمانه على انفسنا مع الحق وقيام الشواهد عليه فنعتذر عن فرنسا مثلاً من جهة نكوصها عن اخذ الثار من الالمان و نستقل الثلاثين سنة التي مضت على حربها ولو نازعنا زنديق في امر الدولة التركية وعدم اخذها بالثار من روسيا لنسبنا ذلك الي خذلانها ولا نكاد نحر جواباً

واني لا اذهب بك بعيداً ولا أعدك من المصائب الا البلايا القريبة حتى لا أطيل عليك الكلام واليك شيئاً من تاريخ القرن الذي نحن فيه ويسيراً من الذي قبله تعلم منه ما جرى

توالى فيه الكثير من الحروب واختلال النظام في الوظائف المهمة في حوادث الانكشارية وغيرها ودخول الوظائف أيدي غير أهلها وظهور الفتن المتعددة حتى لو جاز ان أحدا كتب تاريخ الدولة العلية للقرن الثالث عشر لصرح أن يسميه تاريخ البلايا والمصائب لان الذي وقع فيه يذهب اللب ويضيع الرشد

مطلب ما قاسته في المائة الاخيرة ❦

يجد الباحث فيه تقدم الجنرالين (سواروف) و (رومانزوف) في سنة ١١٨٧ هجرية على أراضي الدولة مسارعين في اجتياز الطونة على غير عدة الدولة ولا ضرارها لتوقيف القتال عقدت معاهدة فينارجة في ظرف ثمان ساعات وهي المعاهدة التي أباحت شروطها استقلال تاتار القريم واعطاء حرية الملاحة لروسيا في البحرين الاسود والابيض ومنحت روسيا بمقتضى البند السابع منها حق حماية الدين النصراني وكنائسه وهو الميدان الواسع الذي فتحت لبث الدسائس والقاء بذور الشقاق

يجد محاربة دولة ايران التي اقامها عبد الكريم خان عقب هذه الحرب

- بإيماز روسيا نكاية في الدولة لضعفها اذ ذاك فدخل بجيشه العراق سنة ١١٨٩
ونكبت الدولة ما تكبدت حتى شكلت حملة مركبة من ٤٠٠٠٠ تحت قيادة
سليمان باشا واجلوههم عن البلاد سنة ١١٩٠
- ٣ يجد فيه استيلاء الروس على القريم في سنة ١١٩٧ بعلة حماية الدين المسيحي
وهروب دولتكراي خان القريم منه
- ٤ يجد فيه محاربة الدولة لدولتي روسيا والنمسا في سنة ١٢٠١ باسباب ولدتها
معاهدة فينارجه المتقدم الذكر عنها
- ٥ يجد حادثة وفاة السلطان سليم سنة ١٢٠٣ والدولة مشغلة باطفاء نار الحروب
في البحر الاسود ومراكب روسيا تحرض اشقياء الروم على الثورة
وتقدم بالنقود والآلات الحربية بواسطة الشقي المدعولا مبروا
- ٦ يجد فتنه الشقي صويتري أحد عمال روسيا الذي انشأت له سبعة عشر
سفينة وقام بها في سنة ١٢٠٧ بجماعات الروم والروس يبعث في جزائر
الارخبيل ويوغر لهم والليونان بطلب الاستقلال
- ٧ يجد فيه حملة نابوليون على الاقاليم المصرية اثناء هذه الاضطرابات
والارتباكات واجتهاد الصرب واليونان في الاستقلال وعصيان حكام
الاقاليم واتجاه أوروبا لمحو السلطنة العثمانية
- وقد نصحت انكثرا للدولة في هذا الوقت ان تقطع الملائق مع فرنسا
وبالفعل حصل ذلك وقبض على السفير وسجن حسب العادة في قلعة
يدي قلة وخربت المخازن الفرنسية في اليونان وسوريا واناضول وازمير
وبירות وانتزعت الامنية فيما بين الاهالي والاجانب
- ٨ يجد فيه تمدي نابوليون على سوريا واحتلال البلاد من العريش لحد عكا

- ٩ يجد فيه فتنة محمد عبد الوهاب التميمي بالاراضى الحجازية سنة ١٢٢١
وامتدادها الى اليمن بعد الحروب الهائلة التي حصلت بين الوهابين
والشريف غالب بن مساعد أمير مكة وسد طريق الحج
- ١٠ يجد فيه اطلاق المدافع من المعارية الانكليزية على اسكندرية واستيلائها
عليها
- ١١ يجد فيه فتنة اليكخييرية الذين اعتصبوا ضد الاصلاحات الجديدة والنظام
المسكري ونهبوا وقتلوا وخلصوا السلطان سليم واقاموا السلطان مصطفى
بدله وأوقفوا أعمالا تأخرت يسببها الدولة نحو من قرن
- ١٢ يجد فيه استئناف روسيا الحرب سنة ١٢٢٤
- ١٣ يجد فيه اتفاق فرنسا والروسيا والنمسا على تقسيم الدولة
- ١٤ يجد فيه ثورة تبه دلتلى على باشا التي كادت ان تلاشى القسم الاعظم من
تركية أوروبا والثورة اليونانية ووقائع موره
- ١٥ يجد فتنة استئناف على الوهابية الى سنة ١٢٣٠ وهى السنة التي قبض
فيها على الشريف غالب وفتح فيها طريق الحج
- ١٦ يجد فتنة اليون وتشكيلها حكومة بمساعدة أوروبا
- ١٧ يجد فيه حريق دونائمه الدولة العلية
- ١٨ يجد فيه استيلاء فرنساويين على الجزائر وذهابها صخية جهل وظلم وعتو
الدأي حسن
- ١٩ يجد فيه فتنة محمد على باشا والي مصر التي قضت على الدولة العلية باعظم
الفظائع وأشد اسباب الدمار
- ٢٠ يجد فيه خيانة احمد عزت باشا الذي قاد الدونمائه العثمانيه وسلمها الي

محمد على باشا بلا تعب ولا عناء وتلاشت بسبب حريق الاولى وذهاب هذه جميع قوة الدولة البحرية وقامت أورربا بهذا السبب طالبة لنفو المعاهدات التجارية

٢١ يجد حروب الروسين وفتن اليونانيين وثورات اليمينين والجريديين وما لا نساء من الاختلال الشديد المتوالي بعدها وعلى الخصوص ازمان السلطان عبد العزيز رحمه الله ووقائع الجبل الاسود وثورات الصرب وحوادث الملكتين وثورات كريد والمسير ونجد والمشاكل الداخلية التي أفضت بخلمه

٢٢ يجد فيه حادثة حسن الجركس التى ابادت جملة من اكابر الدولة وأعظم رجالها على غرة منهم فماتوا ومات معهم ما كان فى صدورهم نجبا من بواعث الاصلاح المقرر فيما بينهم اجراؤه فى داخلية الدولة العلية حتى لقد أحصى أحد المؤرخين المدققين ما حدث من الحروب بين الدول فى هذا القرن من ابتدائه لغاية سنة ١٨٩٦ فظهر منه ان الدولة اكثرهن حربا كما يظهر لك

الدولة العلية	حاربت سنة	استراحت سنة
اسبانيا	» ٤٧	» ٤٩
فرانسا	» ٣١	» ٦٥
روسيا	» ٢٧	» ٦٩
انكاترا	» ٢٤	» ٧٢
ايطاليا	» ١٣	» ٨٣
	» ٢٣	» ٧٣

٧٩	»	١٧	»	النمسا والمجر
٨٣	»	١٣	»	المانيا
٨٦	»	١٠	»	السويد
٨٤	»	١٢	»	البرتغال
٨٧	»	٩	»	الدانمارك

والمدة المعتبرة يزيد على هذا البيان ما يشاهده بالعيان من الاحوال وما حولها من المشاق وما تقاويه من الحيرة في مداملة كل من جاورنا من ممالك الدول الاوروباية الذين يودون ان لا تصبحنا السلامة ولا تمسينا العافية فالسلطان اذامه الله ليس مجددا لمجد الدولة فقط بل موجودا لها فان كل هذه المصائب رسبت قذارتها في هذه الايام وهمت أوروبا بان تفترسنا وتجنح ثمرات الشقاق والفساد التي بذرتها من تلك المهود وهو اذامه الله يمالج آثارها بحكمة ويحسم ما يتجدد في ابان سلطانه .

ارتقى ادام الله مجده كرسي السلطنة اثر سلطان مخلوع بثورة من الخاصة وآخر لم يحتل مركز السلطنة فخن وحرب لها أربع سنوات منتشبة في جملة بقاع من الروم ايلي الشرقي بين أئم لو ابتليت باحداها أشد الدول قوة لحانتها الذيمة فيها وادركها الوهن معها وثوارن في الافكار الحديثة التي اشربت سم الفساد والشقاق من حكماء أوروبا وعلمائها بتدبير فلاسفتهم الذين يستفرخون ميكروب الفساد في معاطن الدسائس ويلقحون منها كل أمة بما يهيج عليها فلم يكد السلطان يلفت الناس لمعني الخلافة الذي أهمل بدد السلطان سليم باوز ويلتفت بمنة ويسرة حتي ابتدرته الثورات

المديرة وبادرتة الروسية بالحرب العوان التي تحمل اثقالها بنفسه لضعف ثقته بالنوزارة بسبب فتنة السلطان عبد العزيز وتأكده الحياة بما حدث في حرب روسيا من بعض القواد الملاجورين مثل محمد علي باشا وغيره وانتهى الامر بعد ذلك الي ما أعلم وتعلم ودخلت المساكر الروسية أراضي الدولة العلية عنوة من الكوآت التي فتحت لها بايدينا في السنين الطوال ايام تنصل السلطان عبد العزيز من وصاية العقلاء وعزله من لا يحبه من النصحاء ومجاراته من يجاريه على فكره من الدخلاء حتى صاغت الروس اعتاب الاستانة وعقد مؤتمر برلين وقضي فيه ما قضي وفعل المدوفينا ماشاء واحتكم بما اراد واشتق هذا الي غير مصيبة الحرب من جهة غراماتها والبلايا المالية الاخرى التي نجمت عنها وهي أكثر من ثلاثين مليوناً من الجنيهات مثل قيمة أوراق القائمة التي أعدتها الدولة (والفلوس) أي العملة النحاس التي ضربت ترويحاً للحال وخسارة الفرق من هبوط أسعار الاوراق العومية وتكليف الخزينة ما هو لازم تجديده واصلاح فاسده بعد حرب تماثل هذه

كل هذا سر من اسرار الآراء الجديدة التي تحمل الدولة والامة على عمل بذير فخص نتائجه وتكليف الدولة الحرب وهي على غير استعداد لها أليس من فضل الله تعالى ان يجتمع الشمل بعد هذا الحال ويلم الشمت ويتم لنا ماتم ونصبح على الحال الذي اذهل أوروبا في الحرب الاخيرة اليونانية أقول من فضل الله لان الاعداء لم يتركوا صاحب عمل عملا ولا وقتا لعمل كما قدمناه اليك وكفى بطامة الارمن المديرة وثوران الاهالي في بلاد حوران ودروز لبنان فما أخرى هذا بان يكون بياناً لقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اللهم لا تكلنا الي انفسنا طرفه عين واغتنا عن

كلفة التدبير بما تسببه علينا من نوائك

هذا هو الزمن الذي برهن فيه السلطان عبد الحميد أمير المؤمنين على مكانته ودهائه وعقله وانه الذي أمكنه اصلاح ما أفسد الدهر بل هو الذي أكد فيه للامم ان الدولة العثمانية أقوى الدول كلها لان جميع الدول تريد تمزيقها وأعمالها تساعدهم على ذلك بقبول الدسائس والفتن والعمل بها وهي مع ذلك باقية في منصة مجد ما تستقبل كل بلية بالتؤدة والثاني وتحمل كل مشكلة باروية والتدبير

ان بعض الذي نحن فيه ليقوض اركان أساس أكبر دولة في العالم وليس الذي اباد الأمويين في الشام والعباسيين ببغداد والفاطميين بمصر ثم الامويين بالاندلس بالشيء الذي يذكر في جانبه

لقد كانت بلاياهم منحصرة في خروجهم على بعض لشؤون مخصوصة أهم ما فيها تفريق مذاهبهم واستبدادهم على بعضهم بالحكم وهذا بعض ما عندنا من فساد داخلتنا

ثم أين تفرق المذاهب في جنس واحد من اختلاف الاديان مع كثرة الاجناس وصعوبة قيادة الامم التي تحت رعاية الدول الآن من قيادة قوم متنفقين في أصول اعتقاداتهم فضلا عن البلايا المنصبه من يد الدول كل واحدة بنوع وكل نوع بكيل ومع هذا فصلاية الطباع وشدها وثبات الجماش واستعمال الغلظة المأمور بها منع من زعزعة اركان الملك وثبت من سلطانه ومهما ظهر الهياج والقلق من تغاير الملل واختلاف الطباع والنزاع في المعاملة فان الله معين على تلافيه

كلما أوقدوا الى الحرب نارا * اطفأ الله نارهم حيث توري

(اقرأ ما كتبه المستر كلايف بجهام نحرر جريدة المورن بوست) الذي رافق الجيش العثماني مدة الحرب اليونانية الاخيرة في كتابه الذي عنوانه بالحرب اليونانية قال في صحيفة ١٢٢ منه حاكياً عن نتيجة ملحوظاته على الجيش ما ترجمته * (ان لدى فعلته دولة الاتراك في تعبئة الجيوش وتسييرها والزحف بها ونقل المهمات اليها لا يقل عما يفعله أحسن جيش في أوروبا حتى الجيش الألماني

ثم قال في موضع آخر صحيفة ١٣٤ مادحا الاتراك انفسهم ان الاتراك هم أهل الحرب والصبر عليها واستخفاف مشاقها والجلد على السير وقلة المؤن والعدد ولا يشغلهم عن عملهم شيء ولا يميلون للدعة والراحة ولا يألئون الحر فلو انهم يقادون بقائد عظيم ويساسون بملك قادر ويذوقون لذة المساواة والعدل لكانوا أول جيش محارب على البسيطة)

افبعد هذا وقيام القائمين من الملل المغامرة عليك وانكشاف الغطاء لك ينبغي لك ان تضل وتعتقد خلاف ما ترى وتتكلم بخلاف ما تسمع وتظن بكل أوروبا خيراً وهي أكبر عامل ترجع اليه هذه الحركات الموجهة ضد العالم الاسلامي

أين أقلام الكتاب الذين ثلموا شرف الدولة من هذه المطالب الحقبة والمقاصد الخيرية * أين هم من الكمال الانساني الذي يؤدي الانسان للشهادة بالصدق محبة في العدل ورغبة في قوله الحق * والله لقد كذبوا وهم القرباء وصدق الاجنبي ماذا فعلوا بكتاباتهم ذهبوا الي عداة الله * اعداء الدولة وأذاعوا عيوباً ابتدعوها كذباً وزوراً وادعوا بفساد ذلك انهم من خيرة الامة ومن نصحاءها وزعموا ان هذا هو الاصلاح المطلوب من كل فرد فانقلب الامر وانعكس الحال

﴿ مطلب عجائب الشرق ﴾

ان الشرق أبو العجب اذ كانت آفة كل بلدة من جهلائها وآفة الشرق من علمائه ولو اننا عددنا المصائب والبلايا التي نزلت على الاسلام في هذه الايام لانجدها الا من طائفة الكتاب حتي أصبحت وظيفة الكتابة منحطة في الشرق لان العقلاء في جميع البلاد يمجون حرية مطلقة لم يضرب بينها وبين الاحساب والاعراض وأقلام السفهاء بسور من الادب ويضحكون على هذا العلم والشعر والادب والحكمة كيف أدي لخلاف ما تؤدي نتائجه في كل أقطار المعمورة من الفوائد

ولنضرب لك مثلاً بشيء مما تشبهنا به « الجرائد » التزموها ماذا فعلوا بها هي في أوروبا نالته المدارس والمجالس في تربية الامم قام أصحابها بها عندهم خير قيام حسب الزمان والمكان فدرجوا مدارج الفلاح حتى أصبحت ولها الرأي الاول في حال الدول

أبي الله أن تفارقهم فيها الطفرة التي تلقيهم على الدوام في مهاوي الخيال ففاجؤنا بالقول بالفساد دون تحقق جهة ولم ينتظروا بالامور أحيانها واجتروا بالافتراء على أولياء الامور حتي اعترض منهم عليهم فلم يحتملوا ومالوا الي السباب فلما رأتهم أوروبا انهم خرجوا عن التقيد بالشرائع والقوانين وأوسعوا الناس طمناً وأصبحوا لا يرد منهم صغير لصغره ولا يتي أحدهم كبيراً لكبره وكان لها في فوضوية الامة المزية العظيمة استماتهم فيما تريد فقاتلتنا ببعضنا وكانت هذه الجرائد أقرب باب لوصولها الي ما تشتهي من هدم صروح المجد والعز

﴿ مطلب السخرين ﴾

وجدت أوروبا في الشرق جماعات كما اشتهت يتفنتون في مس كرامة الناس ويتطاولون بالسفه الى اكبر المناصب ولهم في ذلك أثر معلوم ومقام معروف كأنهم بقايا أصحاب قن صفين والجل والنهروان تمكنت في خصلهم دواخل النقص والفساد والخلل والعناد والرياء العجيب والاتفاق مع كل أمة غالبية على كل أمة مغلوبية والاقامة مع كل طائفة فائزة تأييداً لرأيها سواء كانت محقة أو مبطله فهم مع الانكليز في مصر كما كانوا مع الفرنسيين فيها وكذلك هم في تونس والجزائر كما كانوا في أطراف الهند وأقصى الصين من قبل يحرضون الناس على الاذي ويخرجونهم من دينهم وملتهم ودمتهم وشرفهم وينسونهم حقوق أوطانهم لفرض ينالونه أو دنيا يصيبونها وأى عدو لا يبلغ هؤلاء ما يريد وقد وصل البعض بأمثالهم للتفرقة بين الصحابة والانبياء فضلاً عن الرعية والخلفاء وأشعلوا قلوب رهط النبي صلى الله عليه وسلم التي لا يصل اليها منغلز بالمنازعة التي انقضى الزمان والامة تتوازر على علاجها ولا تمان عليه فلا عجب ان أوغرت صدوراً وأحفظت نفوساً في هذا الوقت بسبب هذا الحال

وجدت أوروبا في أهالي الشرق أقواماً لو خرجت في بلادها تلامذة على أن يقولوا غير الحق ليظهروا حجتها ويمزوا دولتها ويلزموا الناس بالقول بنصرتها لكان فيهم الوهن والضعف ولما كانوا سراعاً الى تسليط بعضهم على بعض بكل شيء يتعلق به الخصم من هؤلاء

وجدت أوروبا في أهالي الشرق أقواماً نسوا الله فأنساهم أنفسهم اغتفروا لأعدائهم الذلة ولبسوا لهم ثوب الاستكانة واستحسنوا كلما يقبح من

شبههم وأعانوهم على فجورهم وصدقوا على كذبهم

ليس بعد هذا محل للملامة جلالة السلطان وحده والتمحك في حكومته
بعد الإصلاح بعد أن أصبحت قلوب الأمة على ما نعلم من هذه المظاهرة
والحجة لأية دولة من دول أوروبا مع بعد ما بين الملل ديناً وبلداً ومذهباً فانه
لو جاز أن يعطي جلالتة حظ المدل بمفرده دون رعاياه وقومه لكانت الانبياء
أولى منه بذلك

ثم اضطراب الشرق في هذه الايام بسبب هذه الاقوال التي تذاغ على
ألسنة أهل السوء الذين ذكرناهم يتقاهم الخونة أرباب الوظائف الذين
عندهم لكل مرید من الاعداء مطلبه وامتدت الايدي لأهله ولبلاده دفعة
واحدة وأصبحت أوروبا مع أهله كأصحاب فرعون « سحروا عين الناس
واسترهبوهم » وأصبح العالم الشرقي من شدة هول هذه الصدمات في
سبات حتي نسي الرجل منهم نفسه ونسي ما يعلمه ويتحققه في نفسه من عمل
أو قدرة على عمل وأصبح يجد كل شيء منهم غريباً ويتوهم أن كل فعل جديداً
اتجهت للشرق عامة الابصار ترمقه بالانظار المختلفة ومن الناس من يعتقد أن
اتهاء مشاكلة الحاضرة التي سببتها حال الشره وحجب الملك والاستئثار به سيكون
محفوفاً بالمخاطر وربما مست بلاياه العالم

امتدت اكاذيب السعاة المسخرة وأغاليط الرواة المدبرة وأضاليل قادة
السوء التي لا ينصرف عنها السامع إلا بشبهة عظيمة الى حد غير ممكن
ملاقاته أبداً

ومن الأسف أن أشد حديثهم غلطاً وأكثره مينا وبهتاناً وأحظره بلاءاً
ومغالاة ما أسند لتاريخ الدولة العثمانية وممالكها

أصبح العثماني في أية بلدة كانت أو في ذات مقر السلطنة غير مصدق
ان له سلطنة أو اماما

وان اعتقد ذلك فقد ضرب اليأس والقنوط بين جوانحه حتى أصبح يحكم من
نفسه عليها بالسقوط والثلاثي

اندفع تيار الاكاذيب على الخلق من جهة أوروبا حتى أثبتوا لنا ان القوم
همج وانهم فضل من الخلق وعولة على الارض يرزقون كما ترزق البهم السوائم
حتى أصبحنا ان سمعنا بمجاراتهم لاي عمل كان عددنا ذلك من قبيل
الاستغراب بل العجب المجاب وأنزلناه منزلة النطق من الالبكم والنظر
من الأكمه

قلنا ان أوروبا تصطنى من كل بلدة جماعات تبلغ بهم غاياتها فن صفوتها
أيضاً في الشرق طائفة لتجعلهم حووصلات للمرسلين ومسبراً لهم في كل أمر
وهم لا يحسنون من الدنيا إلا رسوماً ألقوها في السلام والكلام والطعام
ونظرهم لا يتعدي مواطئ أقدامهم ماذا تفعل بهم أوروبا تقيم منهم حكما
للبلاد وتوهمهم ان الامر اليهم وتجعل لكل واحد وكيله السيطرة عليه
باطنا والطاعة ظاهراً وتتم كل ما تريد من غاياتها على يد ذلك الوطنى الذى
غره من المنصب اسمه ومن المسند رسمه يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي
المؤمنين لا يبعد أن يظن القاريء انى أكتب هذا عن غرض أو عوض لاني
أدفع الظنون السيئة عن مقام الخلافة والدولة بما أستطيع

وحاشا لله أن أكون كذلك فان الخلل موجود في الحكومة العثمانية بلا
شك ومن يجعده فهو غاش لنفسه ونولاه والمؤمنين ولكنى أنكر أسبابه
التي يدعونها وهي عدم التعلق بمدينة أوروبا ولا أعتقد أيضاً بفائدة العلاج

الذي يدبرونه في صيدليات مخيلاتهم .

يسرنا والله ويسر كل مسلم شعور المسلمين بالخطر الذي يهددهم من كل جانب في مشارق الارض ومغاربها وبهجنا تنبه الافكار في منع أسبابه والسعي في علاجه ويطربنا سماع تناجي ارواح الحكماء والعقلاء والنبهاء من جميع الاقطار وان يرتفع الحجاب فلا يكون بينها انفصال

ما الطف هذا الزفير يتثل الخطب ويفصح عن الكرب وينبئ بفيض الصدور من عوامل الفساد التي ثرت المنظوم وفرت المجموع وشقت العصا وفصمت العري وصرفت عزائم الافراد عما يحفظ وجودها وأصبح القوم بسببها في ذهول نسوا ما يكسب ملتهم شرفاً أو يعيد لها مجداً وأوردوا أنفسهم مورد الهلكة وزوال النعمة ونكد العيش وغلوا أنفسهم بسلاسل الجبن وقبض اليأس فوقفوا عن العمل وغلت الايدي فطرحت الامة على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم

ان تعديل أخلاق الامم يحتاج لخبرة تامة يحتاج للحكيم الذي له الحظ من الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهى فيتجراً على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو لا يحس من نفسه بأدنى قصور في اداء هذا الامر العظيم لا علماً ولا عملاً ولا يكون من محبي التمهينة الباطلة وطلاب العيش الزائل في ظل وظائف ليسوا من حقوقها في شيء فيستوعب شأنها ودواعي اخذها ويكشف وجه العلة فيه ونوعها ويدرس ما يكتنف حياتها من عاداتها ويختبر ما بين أفرادها من المذاهب والاعتقادات ويستقري حوادثها المتتابعة على اختلاف المواقع والقرون

ويعلم السبب الصحيح لمكانتها الأولى من الرفعة والفخامة والعلة لمصيرها لما هي فيه من الضعة والذلة وتدرجها بين المنزلتين فإن أصاب المرمى فقد وفقه الله بنياته الأزلية لما أراد والا فقد تحول الدواء داء والوجود دفناء غشت الناس وفرة المجمع التي تصيدوا لها أناسا بمعرفتهم وغشهم كثرة المنتسبين للأدب فظنوا أنهم من أرباب الرأي في عالم الحياة الدنيا مع ان هذه المجمع والآداب التي فيها ساقطة لأنها لم تصل لاقل من الدرجة المطلوبة وأكثر ما يدور فيها من المباحث أمور مجتهد المسمع وتكررت على كل لسان بخلاف لفظي فلذلك لا تصادف التأثير المطلوب سيما وان المصادر ليست على ما يرام اذ لا مادة لحطيمهم في خطبته ولا لاديبهم في أدبه حتي تحلى على عقولهم فيؤثروا على السامعين ولاهم ذوو سلك حسن يتحاشى بسببه المقتدون من انتهاك حرمة الادب أمامهم ولاهم ذوو همة عالية تغلب على المصاعب فيلجأ اليها مستغيث ويستظل بظلها محروم ولاهم من بيوت مجد ولا من سلالة شرف حتي تنخدع لهم النفوس وتهابهم العيون

أثبتوا للناس تلوثهم في أحوالهم وكونهم على حد قول القائل

انى أبو الالوان في حبه * فأعشق اليوم وأسلو غداً

وانهم لا يريدون بعملهم هذا الا عرض الحياة الدنيا ثم لهم في محافلهم ومواطن مذاكراتهم كلمات لم يحلم بها الغرب مع فرط ارتقائه وسوم مداركه أهله وغزارة مادة العلم عند أممه



حزب الإصلاح

بما الذي يطلبه حزب الإصلاح وينادي بتأييده هؤلاء المغرورون يطلب

كل ما طلبته أوروبا وبالأخص انكلترة والروسيا ولم يرض به السلطان فشيء
تطلبه الدول ولا تناله وسلطان يمدى الدول في الاصلاح ولا يفعله ألم يكن
لهذا الامر من معنى غير ظاهره وحقيقة فوق التي نسمعها عنه ومقصد دون
الذي يقصده المصلحون المبلغون له والا فالسلطان اكبر من ان يجهل مقدار
عداوته لاوروبا ومخالفته هو لفكرها بالمرّة أو يظن ان هذا بالهين عليه

ما الذي تريده الاول منها تطلب ان تتحرك الامة لاصلاح نفسها فتطلب
الحرية والقانون. تطلب فتح مجلس المبعوثان. تطلب حرية الجرائد. تطلب تدخّل
أوروبا في نظام مالية الدولة. تطلب تحديد وظائف الخلافة في العقوبات.
تطلب الوزراء المسؤولين. وكل مطلب من هذه المطالب كامن تحت اراقم سود
اذا تحركت فما للدينها شفاء

كيف يقبل السلطان هذا وهو شيء لا يسلمه عقل عاقل فان فيه
خروجا عن الملك وعن الدين وعن الدنيا وكأنما السلطان نسي مصر وتواريخ
حوادثها اليس الذي يجري اليوم على السنة دعاة الاصلاح في الاستانة هو
الذي كانوا يبادرون به ولادة مصر وغيرها من ممالك الشرق وولاياتها من
النصيحة ويهدونهم للطريق المستقيم

ثم انقلب الامر الي ما نراه ونسمعه من الالهانة والازدراء والتحكم وسوء
الفعل وقلة الانصاف والعدل والاستئثار بالنفس والنفسن في طرق النهى
والامر. كفى بالتكلم على طرق الاطلاق سعة في مكان القول فقد ظهر انه
عاجز عن ستر موارده وعوراته المشكوفة

كفى انحراف الكثيرين من اللذين يستقبلون البلاد وتستقبلهم عن
عوائد اهلهم وعن دينهم وتزيقهم ستار المعتقدات حتي أصبحوا في حالة

لا يمكن ان تصح النسبة بهم فيه وبين أى دين أو أي جنس
قلنا انه يجب على المتكلم فى الاصلاح ان يعلم وجوه الفساد ومثارات
ظهوره فى الامة التى يبحث فى اصلاحها

ونحن لا ندعى العلم بوجوده الفساد والاصلاح فى الدولة ولكن نستقي
ما نقول من تواريخ مضت وبالاخص من تاريخ المرحوم جودت باشا الذى
هو ممن انتخبهم الامة وامضى صدرا فى خدمة الدولة وقضى نفيس العمر فى
حفظ الاحكام وصفة تطبيقها وبلغ من الجلالة وعمر المهابة ورصد لنفسه أجل
هيئة وأحسن سمت واكمل وقار وترك لنا بتاريخه بقية تدلنا على آثار يديه
وفكره وهذا التاريخ يعتبر التاريخ الرسمى للدولة العلية وقد أصبح منتشرا
فى جميع البلاد العثمانية وهو من الكتب التى اهداها مولانا السلطان عبد
الحميد خان لمكتبة المدرسة الحميدية لتدريسه فيها وهو دليل على صحة حب
السلطان للاصلاح وحجة على بطلان دعوى من يزعم ان مولانا يكره دراسة
أحوال الدولة العلية ومعرفة الخلل الذى طرأ عليها

❦ الخلل واسبابه ❦

ذكر المرحوم جودت باشا رحمه الله فى الفصل الخامس من الجزء الاول
من تاريخه أخبار الخلل الذى طرأ على قوانين الدولة العلية فرماها بالضعف
وبين أسباب ذلك والله

تولدت جرائم الضعف فى الدولة العلية العثمانية فى عهد السلطان سليمان
القانونى (رحمه الله تعالى عليه) الذى بلغت الدولة فى عهده أعلى مراقى القوة
والدعة (كما تولدت جرائم الضعف فى الخلافة العباسية فى عهد أعظم خليفة

عباسي وهو المامون

ومن مائتي سنة الى الآن يظهر الضعف في الدولة شيئاً فشيئاً وهذه حقيقة لا تنكر

اعترف بها السلطان عبد المجيد عليه الرحمة والرضوان واجتهد في الاصلاح كما يدل على ذلك الخط الشهير (بخط كلخانه) اعترف بها مولانا السلطان عبد الحميد ايده الله في النطق الذي القاه علي مجلس المبعوثان عند تأسيسه صدمت الدولة العلية في هذين القرنين الصدمات الشديدة التي فصلنا بعضها اليك وما كان لدولة ان تقوى على احتمالها وهي نهاية في قوتها فكيف بها وجميع الدول الاوروباية خصيماتها يترصن بها الدوائر وياملنها بالمكر والخذاع والمخاتلة ورعاياها مؤانة من ملل واجناس لا توجد في مملكة من ممالك الارض وهم يتواصل الدسائس فيهم وقبولهم اياها لاستيلاء الجمل عليهم اصبحوا الأعيب في يد المغررين يحركونهم متى شاؤا والسلطان يقود أصعب مراسين السياسة في العالم ويوفق بين جهل وفقر في الرعية وضعف وفساد في الدولة واعداء أقوياء في الخارج ان هذا لمن أصعب ما سمع به الناس ونظره الراؤن

وقد فصل جودت باشا في تاريخه الخلل بعلمه واسبابه وهو تاريخ يستقي من دفاتر الحكومة وأوراقها الرسمية

فقال ان مبدأ الخلل نشأ من دخول المناصب الملكية والمسكرية في يد غير أهلها ممن سمام وتبع ذلك تعيين الشبان الاغرار الجهلاء فاقدى التربية الذين اغتروا باقبال السلاطين عليهم فأعرضوا عن استشارة العقلاء والذين استنكفوا عن ان يستفيدوا من العارفين بالاحوال . والذين ما كانوا يراعون القوانين بل

يسرون بحسب أهوائهم

وكذلك الشأن في اصراء الاولوية واصراء الامارات اللذين يسمون اليوم متصرفين وولاة واصحاب اليتام والارغام . حالة الترف والاسراف والتبذير والانفاس في التعميم الذي اباد الامم من قبل ظهور الحضارة التي نشأت عن هذا الحال وادت الي فقد خصال غريبة وحدث اضطرابات داخلية لميل الكثير ممن القوا تلك الاداب الي تفريق القوة الجامعة وانقطعت الصلة بين كثير من ملوك الاسلام كيران والهند وبخارى والغرب الاقصى واصبحت هذه الحصومات قائمة مقام الحدود الحاجزة فتيسر لاوروبا ما ارادته من احداث الشقاق بين المسلمين والتفريق بين طوائفهم وتم لها بالحيلة ما لم يتم بالحرب والقوة

هذا مع فقد التربية والتعليم ووقوف حركة العلوم والمعارف بعد تمام ترقيتها في عهد ان لا وجود لها في أوروبا كما تشهد بذلك المباني الموجودة لمدارس الطب والرياضة والحكمة في عهد سليمان الى الآن

وعدم حفظ حرمة العلماء أو عدم حفظ العلماء حرمتهم فاضاعوها واضاعوا حرمة الدين مع انهم كانوا بمنزلة ان لو قال أحدهم هذا حكم الله خضعت له رقبة من يده الرقاب . تولية المناصب العلمية لغير أهلها بلا امتحان بحيث صار لهم منصب التدريس وهم احدث فكانوا ينالون رتبة (المولوية) وهي وظيفة لا يفضلها في وظائف القضاء الا (قاضى عسكر) وما طر شاربه ولا خط عذاره الا ترى بعد هذا ان السلطان قد حمل على عاتقه وهو قليل بنفسه حملا لا تستطيعه أمة بمجموعها حتى ان أحد الاميركيين ألف رسالة في مناقبه موضوعها (هل ينهض باعباء أمة عظيمة رجل واحد) وكتب غره من

الامان كتابا اتى فيه بالعجب العجيب فهل من العدل ان يتحمل تبعه ذلك على جانبه أدامه الله وقد مضى على هذا الخلل قرون وسنون أين نصيب الامراء والوزراء من هذا الاغفال الذي جر الى ضياع الملك والمملكة

ليس الكل من آلات دولاب الدولة الذي تدبره أمراً الحكومة. ان من سوء حظ المسلمين ان فساد الخلقاء والامراء في دولة المسلمين يتبعه في الغالب فساد العلماء الذين يرجى منهم في حالة الاعوجاج والخلل والعلل تقويم الموج واصلاح الخلل ومداواة العلل وبدلاً عن ان يظهروا مظهر النصيحة يساعدون اولئك الامراء باسم الدين على كل امر حتى انه لا يروج في سوق العلوم الا ما يروج في سوق الخلافة ولولا ان الحال كذلك لهمت طائفة بتنفيذ نصائح النصحاء والعمل بما انزل الله ولم الشعث المتفرق وقطع دابر التشيع الذي شق عصا الجماعة ورمى المسلمين بالانقام

أدام الله سياسة السلطان عبد الحميد فانها أدهشت أوروبا خصوصاً في الشؤون الخارجية التي قاومها بشخصه الكريم وهو لا يألو من الاشتغال مع ذلك باصلاح داخلية المملكة وهذا كتاب ألفه رجل أجنبي أميركاني سماه (قليل من الحقائق عن تركيا في عهد السلطان) نأتى منه على رؤس المسائل التي جعلها مقصده من التأليف لينظر المتأمل مقدار ماتم الى المملكة من الخير في أيامه ولكن الذي يذهب بهاء هذه الاعمال والاصطلاحات والاعمال الجديدة قالة السوء والفجور من كل طرف الذين فسدت تربيتهم وأولموا بقول الزور والبهتان ولا حظ لهم الا التناوش من جميع الاطراف وألا كفاف وستر الحسنة واذاعة السيئة

﴿ قال المؤلف بعد الكلام على تاريخ الدولة وسلطانها ﴾

ان مجرد التأمل لعدد السكك الحديدية التي أنشئت من بعد الاتفاق المبرم في ١٢ مارس سنة ١٨٧٢ أو التي على أهبة الانشاء والامتيازات الممنوحة من أجل مد ما سيتم مده بعد الآن يكفي في الدلالة على عظم ما يدين جلالته الملكة العثمانية ويمنحها من الفضل والعناية

وكل انسان يذهب من باريس الى الاستانة في أربعة أيام مديون في شكر هذه النعمة اليه لانه هو ألح على عقد المؤتمر الرباعي لاتصال سكك الحديد في الروملى بسكك حديد أوروبا المركزية

« سكك ممنوح مدها من سنة ١٨٧٢ »

كيلو متر

خط من القسطنطينية الى قلوبولي	٥٦٢
من أوروبا نوبيل الى ريدي اغاج	١٤٨
من سالونيك الى ميتر وفيتر	٣٦٤
بنبولي الى يزنوفا	١٠٦

١١٨٠

« خطوط في آسيا »

خط من حيدر باشا لا زمير	٠٠٩٤
من أزمير الى آيدين	٠٥٠٧
من أزمير الى قصبه	٩٠

١٨٧١

« خطوط »

« خطوط منحت امتيازاتها في الخمس سنين الاخيرة »

- ٠٣١٢ خط بين ازمير وانقره في ٢٤ سبتمبر سنة ١٦ اكتوبر سنة ١٨٨٨
 ٠٠٥٠ خط ما بين يافا والمقدس ١٦ اكتوبر سنة ١٨٨٨
 ٠٢٦٠ خط بين سالونيك ومناستير ٢٧ اكتوبر سنة ٩٠
 ٠٠٢٦ خط ما بين موادينا وبورصة في ٢٢ فبراير سنة ٩١
 ٠٥٠٠ خط ما بين باندرومه وقونية في ٢٨ فبراير سنة ٩١
 ٠١٣٢ خط ما بين بيروت ودمشق وحوران في ١٣ يونيه سنة ٩١

٢٩٥١

كيلومتر

٢٩٥١

- ٠٢١٩ خط بين عكا ودمشق في ٢٨ اكتوبر سنة ٩١
 ٠٣٠٠ خط بين ديدي اغاج وسالونيك ابتداء فيه في ١٤ يوليه سنة ٩٣
 ٠٢٨٨ خط بين اسكي شهر وقونية بدى فيه من ٣١ أغسطس سنة ٩٣
 ٠٢٥٦ خط بين انقره والقيصريه في ١٣ فبراير سنة ٩٣
 ٠١٥٥ خط بين الاله شهره وقره حصار ٤ فبراير سنة ٩٣
 ٠٣٨٠ خط بين دمشق وبره جك في ٣١ مايو سنة ١٨٩٣

٤٥٤٩

١٨٧١ خطوط باتفاق من سنة ٧٢ المذكورة

٦٤٢٠

وقد أُنجمت هذه الخطوط في نفس ايرادات الحكومة النسير المقررة
 كالمكوس وغيرها ١١٤٠٠٠ جنيه في سنة ١٨٩٢ في لوائي كوتاهيه وارطنرا

وازدادت الزراعة وارتقت بسبب تحسن أحوال البلاد ووفدت مهاجرو
البوسنة والمهرسك وتساليا وولايات البلقان الذين ندموا على ما أصابهم من
خروجهم من تحت يد الدولة العلية

﴿ المواني والمرافى ﴾

منحت الدولة لكثير من الشركات في سنة ١٨٩١ انشاء مرافى وقد
ربحت الدولة من ميناء ازمير القوائد الجملة والمزايا العظيمة التي تستمدتها الاستانة
بالخصوص وجميع بلاد الدولة على وجه العموم وسيقترن بذلك انشاء مرابط
ومبانى ومخازن للتجارة وتشكيل مائة وثلاثة وعشرين مجلساً في ولايات المملكة
والويتها واقضيتها لغاية شهر أغسطس سنة ١٨٩١ فروعاً لمجلس التجارة الذي انشأ
في الاستانة سنة ١٨٨٤ والمتحف التجاري الذي انشأ في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٩٠
ملحقاً بهذه المجالس أيضاً بجميع أصنافها من الحاصلات الزراعية ويمطى المعلومات
اللازمة عنها

﴿ المعامل ﴾

معمل الملابس العسكرية المسمى (فاس خانه) أي معمل الطربوش
معمل مدافع متراليوز ونورد انفليد
معمل ادارة الدخان المؤسس في سنة ١٨٨٤ فيه ١٥٠٠ عامل وقيمة
حاصله ثلاثة ملايين جنيه وكسور
معمل الصنوتو
معمل النزل الموجود في يدى قله
معمل الانسجه في ارسه في جوار ازميد الذي برهن في تقدمه السريع بحسن
الانسجه

الانسجه الذي نالت شكر العموم
معامل دود القز التي أدرك صبايتها فاحياها لكها ونجاها من الوباء الذي
اصابها ومعامل الغاز

وشركة الغاز في يدي قلبه المؤسسه سنة ١٨٩١
محطات السكك الحديد وأهمها محطة سرجي المفتحه سنة ٩١
معمل الزجاج ومعامل الثلج على ضفاف البوسفور
﴿ المنارة واللازم ﴾

بساتين يلدز وبيرا واستانبول واسكدار
بساتين الحيوانات

تنظيم الماء في بيرا بمد انشا شركة مياه دركوس ووترس (أي مياه
دركوس) بقنواتها وانايبها على أحسن طرز يكون
خط الترامواي من غلطة الي ششلى وترتب عليه زيادة قيم الاملاك
بجهة بيرا بسببه زيادة لم تكن في الحسبان

عمل مستودع كبير في اسكدار للغاز يسع ٣٠٠٠ متر مكعب لانارتها
وانارة مدينة قاضي كوى المسماة قديما ساليسدون

المشروعات الجديدة في سالونيك وبيروت من انشا مرافق وشركات
للماء والغاز والترسخانه البحريه ذات الموقع المجيب في ازמיד ومنجم الفحم
الحجري هرقليا الذي ترك العمل فيه

معادن النحاس والرصاص الذهبي والفضى في بلغار داغ

معادن الغاز في ولايات يانيه

كل هذا في يد الشركات الوطنية لاستغلال المعادن الغزيرة القوائد

وانشئت خنادق وطرق مرصوفة بالحصى على طول سهرى بيانا ودرمين في البانيا

﴿ ترقى الاستانه التجارى ﴾

ذكر المؤلف هنا بالتفصيل عملاً أحدث في مستقبل التجارة في الاستانة تأثيراً عظيماً وهو من مبتكرات فكر جلالة مولانا السلطان ليس لاحد فيه ادنى فضل وهو تنظيم مجرى نهر الفرات الذي كانت نفقاته من خزينة جلالة الخاصة

الغرض انشا طريقين للسفن التجارية احدهما على نهر الدجلة وشط العرب بين الموصل في آسيا الصغرى وبغداد والبصرة وثانيهما على نهر الفرات وشط العرب بين مسكينة والبصرة ولا يخفى ما هناك من الصعوبة في تسير البواخر بين مسكينة والبصرة بطريقة منتظمة لانه يحف في هذا النهر نحواً من مائة وخمسين كيلو متراً لانسحاب المياه منه في قنال هندسية ولذلك وضع نحو من ثلاثين الف متر مكعب من الصخر والاحجار بصفة سدود ورؤس فانظم سير المياه وأمنت بلاد الله من الشرق والغرب والمتأمل في هذا العمل يجد ان حالة الملاحة في هذين النهرين تحاكي مكانة قنال السويس من جهة فتح الطرق بين الغرب والشرق الاقصى

البنك الوطنى الزراعى الذى خلص الفلاح التركى فعلاً من مخالب المرابين المؤسس في سنة ١٨٨٣ بقرض $\frac{1}{4}$ من أقل مبلغ ممكن الى ١٥٠ جنيهاً لمدة من ٣ سنين الى ١٠ سنين ويقبل الودائع ويدفع عنها $\frac{1}{4}$ وهو كثير الفروع في جميع الولايات وقد أحصيت فروعه لحد الآن فوجدت ٩٥ فرعاً و ٣٢٨ توكيلاً في انحاء المملكة العثمانية والذي يريد تفصيلاً أكثر من هذا فليقرأ

المعاملة التي نشرت في جرنال مجلس التجارة في الاستانة بتاريخ ٧ ابريل سنة ٩٤
في هذا الموضوع

وانا نفتطف لك منها ما يتفق الآن في سبيل تحسن الزراعة الوطنية
بواسطة هذا البنك

— . —

١٣ ٣٤٦٠٩٣ على المدرسة الزراعية في خانقان .

٣٢ ٤٦٠٥٨٨ سالونيك

٣٩ ٢٩١١١٨ بروسه

٠٠ ٠٢١١٨٤ على نموذج مزروعة في انقره

٠٠ ٠٣٢٥٦٠ على مثله ادنه

٢٧ ٠٠٩٣٧٦ ارضروم

٢٥ ٠٧١٣٥٤ حلب

١٥ ٠٢٧١٣٢ سيواس

١٠ ٠٤٠٩٥١ في دمشق

٣٠ ٢٥٢٢٩٢ قونية

١٤ ١٣٠٩١٩ على تعليم ١٤ تلميذا علم الزراعة في فرانسا

٠٠ ٠٧٢٧٩٤ على شراء بذور من أوروبا وأميركا لتوزيعها على الفلاحين

٠٠ ٠٠٢٢٥٠ الف ترمو متر لتوزيعها على المشتغلين بدودة الحرير

٠٠ ٠٠٣٣٢٥ دفعه مجلس الادارة لابادة العاهات

ويتبع كلا من هذه المدارس مزرعة اتخذت مثالا ونموذجا للتعليم العملي
والتعليم النظري

﴿ الغابات والآجام ﴾

ان العناية بجلالة السلطان عبد الحميد في اتقان الغابات والآجام جعل تركيا لا تحسد غيرها من الامم في هذا الفرع
تشغل الآجام والغابات في تركيا مسطحا ١٥٩٥٥١٩٢ دونما وهو قريب من
فدان اعنى جزءا من ٢٤ من ارض المملكة ولا يدخل في هذا الجزء الا الولايات
الواقعة في القسم الاوروبي من تركيا والاناضول والقسم الملاصق لتركيا
أوروبا من تركيا آسيا

وتتألف هذه الآجام من ١٥ نوعا من الشجر الذي هو من انفع الانواع
في الصناعة منها البلوط . والشاه بلوط . والجوز والخور . والصنوبر . والزيتون
وستصل المملكة العثمانية الى حد ان تعرض هذه الاخشاب على أسواق
أوروبا وهذه الفائدة المالية من الثروة الطبيعية كانت في اهمال وكساد الى
عهد جلالة السلطان . وقد الحق بهذا البيان جدولا يتضح بالمقارنة بين
ايرادات المعادن والآجام في السنين الاخيرة زيادة ٤٧ في المائة وهي عبارة
عن ١١٦٠٠٠ جنيه انكليزي منها ٤٧٤٥٩ جنيه من واردات الآجام و ٩٦٠٠٠
جنيه من الرسوم المضروبة على المعادن التي تستغلها الحكومة وهذه النتيجة
أحسن مدح واوفى شكر لمؤسس هذه الخيرات وهو جلالة السلطان

﴿ البنك العقاري ﴾

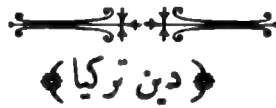
وهو يقرض نقودا على رهون عقارية وقد تحدد رأس ماله الآن بمبلغ
١٠٠٠٠٠٠٠ جنيه مجيدي وسيزيد رأس هذا المال بالتدريج بحسب مقتضيات

الضرورة

الضرورة الى ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه مجيدى

هذا الى غير ما هنالك من النظام العسكرية الذي أصبح لا ينكر استعدادة
الا اعلمى . وترقى المدارس والعلوم وسلوك سبل المدنية القويمة التي من أهم
اركانها المحافظة على الدين

حتى أصبحت هذه الاعمال العزيزة تبشرنا ان العناية الالهية آخذة بناصرنا
وان وراء هذا الطل والبلاء اما من نشاط الافكار ونجاح الحال ان شاء
الله تعالى



﴿ دين تركيا ﴾

جرت بين تركيا ودائيتها مخبرات على خطة من الصدق ارتاحت اليها
انفس هؤلاء فاحلوا محلها من القبول وسارت على نمط من الحدق
عجيب يشاكل المعجزة خواصها فافضت الى حل مسألة الدين في ٢٠ ديسمبر
سنة ١٨٨١ كان كل الدين قد بلغ في ذلك الوقت ٢٥٤٢٩٢٠٠٠ جنيه انكليزي
لان القروض التي حصلت في عهد السلاطين السالفة من سنة ١٨٥٨ الى
سنة ١٨٧٥ وفي ضمنها قرض السهام التركية ذات القائن وهو رأس مال
ايراده السنوي ١٤٠٠٠ فرنك عن كل كيلو متر من السكك الحديدية التي
تنشأ في تركيا تضمنه سكة حديد الروملي كل هذه القروض مجموعها يبلغ
٣١٨٤٣٦٥٤٠ جنيه انكليزيا وكان الذي دفع من هذا المبلغ الى وقت تأخر
تركيا عن دفع اقساط الدين (الكوبون) هو ٢٥٩٤٧٨٢٥ جنيه انكليزيا
فنقص بذلك الدين الى ١٩٢٤٨٨٦٢٥ جنيه انكليزيا لكن بسبب زيادة مبلغ
٦١٨٠٣٩١٥ جنيه وهو متأخرات القوائد المستحقة من شهر سنة ١٨٧٥ قد

وصل مجموع الدين العمومي في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨١ الى المبلغ السالف ذكره
أى ٢٥٤٢٩٢٠٠٠ جنيه

يجب ان يضاف الى هذا المبلغ هذه المبالغ الاخرى وهى
أولا مبلغ ٨٥٩٠٠٠٠٠ جنيه مجيدى وهو مجموع مبالغ اقترضت من مصارف
غلطة قبل حلول سنة ١٨٨٠ سد الحاجات الخزينة وذلك القرع من الدين
قد تنازلت بسببه حكومة تركيا لدائنها بمقتضى الاتفاق المبرم في ٢٢ نوفمبر
عن ايرادات الملح والتبغ والمشروبات الروحية وطوابع البوستة والحرير
والاسماك

ثانيا الفرامة الحربية المستحقة للروسيا بمقتضى معاهدة الصلح وهى تقرب
من مبلغ ٨٠٢٥٠٠٠٠٠ فرنك

ثالثا التعويض المستحق للتجار الروسين بسبب خسائر الحرب من سنة ١٨٧٨
الى سنة ١٨٧٨

لم يكن الغرض من الاتفاق المبرم في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨١ التعرض
لما كان يتوقع ان يكون لروسيا قبل تركيا من المطالب فان معاهدة برلين
قد كفت المتفقين مؤنة البحث في ذلك اذ نص فيها صريحا على ان هذه
المطالب يقوم بادائها حاملو السندات التركية وانما كان القصد من الاتفاق
المذكور حينئذ مجرد البحث في مسألة الدين العمومي

بني هذا الاتفاق على امرين احدهما الحقيقة وهو مجموع القروض التى
حصلت فى سنين ١٨٥٨ و ١٨٦٠ و ١٨٦٢ و ١٨٦٣ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ و ١٨٧٢ و ١٨٧٥

والثاني الاسهم التركية وقسم الدين الحقيقى هكذا
أولا مبلغ ١٧٦٧٥٦٥١ جنيهات انكليزية وهو مجموع القروض الثمانية
المذكورة

المذكورة استنزل منها مبلغ ١٨٩٣٢٠٦٠ جنيتها انكليزيا هو مجموع تسديدات (استهلاكات) مختلفة حصلت الى وقت كف تركيا عن دفع اقساط الدين واستنزل منه بعد ذلك أيضاً مبلغ ٨٦٦٨٤٥٠ جنيتها انكليزيا كان اذ ذاك في الخزينة فانحط بذلك راس المال المقترض الى ١٥٩١٥٦٠٠٠ جنيهه انكليزي ثانياً مبلغ ١٨٢٩٦٧٥ اصدرت به سندات وقتية تدعي سندات رمضان بمقتضى ارادة سنية صدرت في ٦ اكتوبر سنة ١٨٧٥ الموافق ٦ رمضان سنة ١٢٩٢ من أجل سداد المبلغ المستحق في ستمبر سنة ١٨٧٥ وهذه السندات تعطى لحاملها الحق في نصف الربح ونصف المبلغ المستهلك من الدين بسببها

هذا المجموع العام وهو مبلغ ١٦٠٩٨٥٦٨٨ جنيتها انكليزيا قد نقص الى مبلغ ٩٢٢٢٥٨٢٧ جنيتها انكليزيا ومنشأ هذا النقص حط الدائنين لتركيا من راس المال الاصل ٢١ و٤٢ في المائة وهذا المبلغ كان يعطي فائدة سنوية قدرها واحد في المائة وكان في حالة من شأنه فيها ان يزيد ربحه تدريجاً تبعاً للظروف الى ٤ في المائة

اما الاسهم التركية فقد جزئت ١٩٨٠٠٠٠ سهم قيمة كل منها ٤٠٠ فرنك وربحه السنوى ٣ في المائة تسدد (تستهلك) في ١٠٤ سنين بست سحبات سخرية تحصل في أول فبراير وابريل ويونيه وأغسطس واكتوبر وديسمبر من كل سنة والذي استهلك منها حتى أول اكتوبر سنة ١٨٧٥ هو ١١٠٠٠ سهم من ذات الاربعمئة فرنك أي ٤٤٤٠٠٠٠ أو ١٧٧٦٠٠ جنيهه انكليزي وبقي منها في ايدي حاملها ما قيمته ٣١٥١٢٤٠٠ جنيهه انكليزي وقد نقصت قيمة كل سهم من هذه السهام بمقتضى اتفاق ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨١ ٩ و ٤٥

في المائة فصار ثمن السهم على صورته الجديدة ١٨٠ فرنكا و٣٦ سنتيا وحدد راس مال السهام التركية الجديدة بمبلغ ١٤٢١١٤٠٦ جنيات انكليزية بلغ عدد السندات التركية ذات القائض التي اصدرت في خلال المدة الفاصلة بين الامرين الماليين العاديين في اكتوبر وديسمبر سنة ١٨٧٥ وجعل استهلاكها في هذه المدة ١٥٣٥ سهما وهي راس مال اسمي قدره ٢٨١٨٠٠٠٠ فرنك وقد جلت تركيا لنفسها في هذه السهام الحق في حطيطة ٢٥ في المائة من الدفعة السنوية المضافة الى السهام التركية من عهد رجوعها الى دفع الاقساط والمضافة أيضا مبلغ العشرين في المائة من قيم السهام ذات القائض المستهلكة . كفت تركيا عن دفع فائدة السهام ولم يكن عليها ان تعود الى الدفع حتي يتوفر لديها مبلغ يزيد عن اللازم لسد طلبات أصحاب السندات ذات القائض فاذا توفر هذا المبلغ تكون الفائدة مستحقة الدفع هي وقيم السندات المسحوبة

ولما نقص الدين بهذه الطريقة قد خصصت الحكومة التركية لمصلحته جملة ايرادات تنازلت عنها لدائنها حتى يتولوا ادارتها بانفسهم وهذه الايرادات هي الانواع الستة من الاموال غير المقررة أو عوائد الملح والتبغ والمشروبات الروحية وطوايع البوستة والحرير والاسماك التي يردها أصحاب مصارف (بنوك) غلظه بمد تحصيلها الى حاملي السندات العثمانية

(ب) زيادة رسوم الجمرک التي تنشأ من تغيير تعريفه الرسوم عند حصول تنقيح في اللوائح التجارية فتستفيد ادارة الدين العثماني من هذه الزيادة

(ت) زيادة الايرادات التي تنشأ من تعميم تطبيق القانون الخاص بالامتيازات عند مقارنتها بالايرادات التي كانت تحصل فيما سبق من رسوم التمتع

(ث)

(ث) الجزية التي تدفعها امارة البلقار الى الوقت الذي حددتها فيه الدول الموقعة على معاهدة برلين بمبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه مجيدي يدفع مساهمة من رسوم التبغ اما ان رأي الباب العالي بعد تقرير الجزية أو الضريبة بهذه الصفة ان من صالحه استعمالها كلها أو استعمال جزء منها في سبيل آخر وجب عليه ان يعوض هذا المبلغ الذي يكون بهذه الوسطة قد سحبه من حاملي السندات بمبلغ مساو لموائد التبغ وفي حالة عدم كفاية هذا المورد يؤخذ المبلغ من مورد آخر واف به

(ج) الزيادة في ايرادات جزيرة قبرص وتعموض في الحالة التي تخرج فيها هذه الجزيرة من قبضة الحكومة العثمانية بمبلغ سنوي قدره ١٢٠٠٠٠ جنيه مجيدي يستنزل من عوائد التبغ بعد احتساب مبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه الذي استبدلت به جزية البانار فاذا لم تكف هذه الزيادة لتكملة مبلغ ١٢٠٠٠٠ جنيه كان على مصلحة عموم الجمارك ان تعطي بالباقي سفاتج في كل سنة

(ح) دين الروملى الشرقي الذي حدد بمبلغ ٢٤٠٠٠٠ جنيه مجيدي في السنة مضافا اليه الايراد الصافي لموائد هذا الاقليم المقدّر بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه مجيدي

(خ) اراد التنباك المحدد بمبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه مجيدي تضمنه مصلحة الجمارك بسفاتج تسحب عليها في كل نصف سنة

(د) جميع المبالغ التي تدفعها للحكومة العثمانية كل من حكومات السرب والجليل الاسود والبلقار واليونان مما فرض عليها دفعه من الدين الاهلي في معاهدات برلين والاتفاق المبرم في القسطنطينية يوم ٢٤ مايو سنة ١٨٨١

الانواع الستة من الاموال غير المقررة المذكورة في حرف (١) هـ

كما قلنا لأصحاب مصارف (بنوك) غلظه دينهم الذي على الحكومة العثمانية وقدره ٨٥٩.٠٠٠٠ جنيه مجيدى وقد تنازل هؤلاء بمقتضى اتفاق حصل بين الطرفين فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨١ عن إدارة هذه الاموال لتكون تابعة لنظارة المالية فى مقابلة ايراد ٣٧١٣٩٣ سهما قيمة كل منها ٢٢ جنيهها مجيدى وربحه السنوي خمسة فى المائة وذلك عبارة عن راس مال قدره ٨١٦٩٩٨٦ جنيهها مجيدى

حاملى هذه السهام حق الاولوية على من عداهم من أصحاب قروض الدين العثماني المسمى وهذا الحق يكسبهم مبلغ ٥٩.٠٠٠٠٠ جنيه مجيدى بعضه فائدة وبعضه من أصل الدين يستنزلهم فى كل سنة بمقتضى هذا الامتياز من صافي ايراد الاموال المتقدم ذكرها ولذلك سميت هذه السهام بالسهام الممتازة

هذا الاتفاق المبرم فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨١ كثير النتائج الحسنة فى زيادة مالية المملكة العثمانية لا من حيث مالقيه من القوائد العاجلة فقط بل من حيث القوائد المستقبلية التي جعلها سهلة الحصول

قد وضع جلالة السلطان بما عهد فيه من الحكمة فى الارادة السنية التي صدرت بهذا الاتفاق فى شهر ديسمبر سنة ١٨٨١ مبدءاً تحويل الدين العثماني الذي وحده توحيداً كان فيه اكبر فائدة لجميع المعاملات العامة ولمصلحة حسابات المالية

لم يتوقف وكلاء البيوت المالية بلنדרه وباريس وفينا وبرلين وم أصحاب الاغلبية من حاملى السندات العثمانية فى قبول هذا المبلغ فصدرت ادارة سنية فى ٣١ يولييه سنة ١٨٨٣ بالتصديق على مشروع مجلس ادارة الايرادات

المتنازل

المتنازل منها للدائنين الخاص بتحويل الدين العمومي الذي نقص مقداره كما علمت وبالتصریح باصدار سهام جديدة

آخر الاعمال التي حصلت في هذا الشأن بعد تاريخ صدور هذه الارادة كان في ١٢ مايو سنة ١٨٨٤ ولما تمين المندوبون لمراقبة التحويل في ٢٣ يولييه من هذه السنة ابتدأت الاعمال في ٢٠ نوفمبر منها وتححر لنجازها ميعاد من أول مايو سنة ١٨٨٨ الى ١٣ منه

غير ان هذا التحويل أو توحيد الدين العمومي العثماني ان أردت تسميته باسمه الحقيقي لم يكن الا مقدمة لاتفاقات أخرى كان من شأنها فضلا عن استمرارها على تقليل مقدار الدين العمومي والدين الداخلي المتداول أن تورد للخزينة العثمانية مبالغ مهمة

كذا كان تحويل الدين الممتاز وقرض الدفاع في ٢٧ ابريل سنة ١٨٩٠ وصدرت ارادة سنية مقتضاها اقتراض مبلغ ١٩٥٦٨٥٠٠ فرنك ليكون ممتاز التحويل بفائدة أربعة في المائة الممتازة المضمونة بتلك الايرادات أو تسديد قيمها تبعاً لارادة حاملها

قسم هذا القرض الى ٣٩١٣٦٣ سهماً لحاملها قيمة كل منها ٥٠٠ فرنك وربحه السنوي عشرون فرنكاً تدفع أثمانها على أقساط متساوية في أربع وأربعين سنة أو على ثمان وثمانين سحبه تحصل في كل نصف سنة منها واحدة بالقسطنطينية في شهر فبراير وأغسطس من السنة تحت ملاحظة مجلس ادارة الدين العمومي والمصرف (البنك) العثماني وربح هذه السهام يدفع ذهباً في كل نصف سنة يومي ١٣ مارس و ١٧ سبتمبر من السنة بمدن باريس والقسطنطينية ولندره وبرلين وفرنكفورت وامستردام في مكاتب

المصرف العثماني أو مكاتب وكلائه

حدد ثمن السهم من هذه السهام الجديدة بمبلغ ٤١١ فرنكا وخمسين سنتيما من ١٣ مارس سنة ١٨٩٠ وأعطى الحق لحاملي السندات الممتازة التي ربحها السنوي • في المائة في الاشتراك بالاولوية في تلك السهام بسعر ١١٠ فرنكات بدون أن ينقص هذا الحق شيئا من حقوقهم أو أن يدفعوا في نواله شيئا

ان مقدار الدفعة السنوية الواجبة لحاملي السندات الممتازة التي ربحها • في المائة والتي حدد لتحم سدادها سنة ١٩٠٦ كان بمقتضى اتفاق ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٠ مبلغ ٥٣٧٠٠٠ جنيه انكليزي أما السهام الجديدة فلما كانت دفعتها السنوية مبلغ ٣٩٢٠٠٠ جنيه انكليزي فقط ينتج من ذلك نقص فيما كان يدفع مساهمة قدره ١٤٥٠٠٠ جنيه انكليزي في السنة خصص لسداد (استهلاك) أربعة أنواع الدين على نسب متساوية الا الاول منها فان ما خصص له من هذا المبلغ هو ١٠٠٠٠ جنيه انكليزي فقط

لو أن تحويل الديون الممتازة كان قاصرا على تلك المزية لم يكن فيه أدنى فائدة عاجلة للخرينة العثمانية . وان كان قد يفيد من حيث حالة الدين العمومي في تركيا

في هذا المقام قد تجل لآعين الناس حذق جلالة السلطان في الامور المالية بأعجب منظر وأبهاء فانه قد حمل أرباب الدين الداخلي المتداول وهم حملة الاوراق المسماة بالسهم المؤقتة والاستراضية على الانتفاع من هذا التحويل أخذ الوكلاء الماليون المكلفون بتحويل الديون الممتازة على أنفسهم أن يقرضوا خمسة ملايين من الجنيئات المحيية باصدار سهام ربح كل منها أربعة

في المائة وله من أجر الاستهلاك واحد في المائة خصص من هذا المبلغ نصفه
(مليونان ونصف) لتحويل الاوراق المسماة بالسهم المؤقتة وغيرها

وخصص ١٠٠٠٠٠٠ لدفع بعض مطالب الخزينة العثمانية أما باقي المبلغ
وهو مليون ونصف فقد واطب أولئك الوكلاء على أخذه بسعر ٧٥ باعتبار
جملة السهم المصدرة ودخل بسبب ذلك في خزينة الحكومة التركية مبلغ
١١٠٠٠٠٠٠ جنيه مجيدى

قد نشر في ٣ يونيه سنة ١٨٨٧ في جرائد القسطنطينية مذكرة رسمية
بينت حالة تحويل جزء من سهم الدين المتداول فجاء فيها ان الاوراق المسماة
بالسهم المتحولة والجديدة والمادية والمؤقتة والاستقرضية ذات التحويلات
الاهلية وهذه السهم هي أوراق الدين الاهلى المقترض أثناء الحرب التركية
الروسية وبعدها يجب أن تبذل بالسندات الجديدة التى تدفع قيمتها لحاملها
المسماة بالسهم التركية

حدد رأس المال الذي أريد تحويله على هذه الطريقة وهي (١) بالنسبة
للسهم المحولة والجديدة حدد بمبلغ مساو لربحها مدة عشر سنين محسوبا هذا
الربح بالسعر المقرر لهذه السهم (٢) بالنسبة للسهم المادية والمؤقتة حدد
بمبلغ مساو لربحها مدة ثمان سنين (٣) بالنسبة للدين الداخلى برأس ماله
الموجود

في سنة ١٨٩١ ابتكر تدبير جديد لا يزال في معرض البحث اذا تحقق
رجى من ورائه خير كثير لمالية الدولة العثمانية ذلك هو تأصيل المبلغ الذى
يتوفر مساهمة من تحويل الديون الممتازة وهو ١٤٥٠٠٠٠ جنيه انكليزى (تأصيله
جعله رأس المال) ينشأ بهذا المبلغ السنوي قرض قدره ٢٩٠٠٠٠٠٠ جنيه

انكليزى باصدار سهام عثمانية ممتازة بنفس السعر الذي أصدرت به سهام ٢٧
ابريل أعنى أربعة فى المائة من الربح وواحد فى المائة من أجرة الاستهلاك تدفع
قيمة هذه السهام فى أربع وأربعين سنة

لما كان القرعان من الدين العثماني المشار اليهما بحرفي (ت) و (ث)
كما تقدم مقدرين بقيمة أقل من الفرعين السابقين لهما كانت الهمة موجهة
طبعاً لايجاد طريقة استهلاك اضافية لتسديد هذا الغرض أخذ وكلاء الديون
على أنفسهم أن يدفعوا فيما يطلب منهم سهاما من هذين الفرعين حرصاً منهم
على أخذ السهام الممتازة الجديدة التي قيمتها ٨٠ وبما كانت تقتضيه سهام
النوعين المذكورين فى ذلك الوقت من الثمن الذى فى رأس مال حقيقى قدره
٢٣٢٠٠٠٠ جنيه انكليزى يخرج من أيدي المتعاملين ١١٠٠٠٠٠ جنيه
انكليزى من الدين العمومي هذا المبلغ لما كان للحكومة فيه بمقتضى اتفاق ٢٠
دسمبر سنة ١٨٨١ واحد فى المائة أعنى ١١٦٠٠٠ جنيه انكليزى فستكفى
مصلحة الدين بسبب تأصيل مبلغ ١٤٥٠٠٠ جنيه انكليزى مؤنة المطالبة
السبوية بمبلغ ١١٦٠٠٠ جنيه انكليزى هذا العمل هو من الاهمية بحيث ان
الحكومة العثمانية لا تسرع فى القطع باجرائه بل انها لا تجزم به الا بعد
الاحاطة بجميع وجوهه وتقدير كل الاعتبارات فيه وقد استفادت السهام
التركية أيضاً استفادة تذكر من المزايا الناشئة من تحويل السهام الممتازة فبلغ
استهلاك هذه السهام من ٥٨ الى ٧٢ فى المائة وحيشد فالذى كان ينال فى
الاقتراع (يا نصيب) على مبلغ ٦٠٠٠٠٠ فرنك جائزة قدرها ٣٤٨٠٠٠ فرنك
صار يقبض من الآن فصاعدا جائزة ٤٢٧٠٠٠ فرنك

لننظر الآن فى تحويل قرض الدفاع بواسطة تأصيل جزء من الخراج

الذي

الذى تأخذه الدولة من مصر في سنة ١٨٨٧ كانت حكومة جلالة السلطان افكرت في أن تحوّل القروض المختلفة المضمونة بهذا الحراج الذي تدفعه مصر للباب العالي الا أنه قد منع من انفاذ ذلك في حينه جملة موانع سياسية ومالية ولكن عند مارأي جلالة السلطان انه قد جاء الوقت المناسب لانفاذه صمم عليه في سنة ١٨٩١ وقد توجهت مساعيه الى الآن بالنجاح التام. ان قرض الدفاع التى أصدرت سهامه في سنة ١٨٨٧ وهو آخر القروض المضمونة بالحراج المصرى يبلغ ٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه انكليزى وربحه خمسة في المائة واجر استهلاكه واحد في المائة في شهر فبراير سنة ١٨٩١ نقص أصل هذا القرض بسبب الاستهلاك الى ٤٣١٦٥٢٠ جنيه انكليزيا وذلك فى أثناء المذكرات الاولى بين الحكومة العثمانية ووكلاء الدائنين انحط من الدفعة السنوية التى يضمها هذا القرض وهي ٢٨٠٦٢٢ جنيه انكليزيا بمقتضى الارادة السنية الصادرة فى ٢ مارس سنة ١٨٩٢ الخاصة بتحويل القرض المذكور مبلغ ١٤٠٣ جنيهات انكليزية نفقات واجرة عمل (عمولة أو قومسيون) ومبلغ ٢٦٥٤٣ من أجل الاستهلاك وبقى بهذا النقص من أصل الدفعة ٢٥٢٦٧٦ جنيه انكليزيا لتأصيله فاذا جعل ربحه ٤ فى المائة كان الحاصل راس مال قدره ٦٣١٦٩٣٠ جنيه انكليزيا فالتمن الذى أصدرت به تلك السهام وهو ٩٠ كان راس المال الاسمى هذا يعطى راس مال حقيقى وقدره ٥٦٨٥٢٣٧ جنيه انكليزيا وقد نقص هذا المبلغ بما سقط منه من أجرة عمل الضمانة (الممولة) وهى واحد فى المائة على رأس المال الاسمى الى مبلغ صاف وهو مبلغ ٥٦٢٢٠٦٨ جنيه انكليزيا من هذا المبلغ استغرق تحويل ما يوجد من سندات قرض الدفاع مبلغ ٤٣١٦٥٣٠ جنيه انكليزيا وينتج من ذلك للخزينة العثمانية ربح صاف قدره ١٣٠٥٥٣٨ جنيه

انكليزيا وتلك بلا شك نتيجة عظيمة لا تحتاج لشرح في تقدير القارىء لها
حق قدرها

بقى علينا مما نسرده على القراء من تحويل القروض العثمانية سردياً
الكلام على مشروع قد تقرر مدياً ولا شك انه لا يمضي عليه زمن حتى
يتم انفاذه وهو اصدار سهام لقرض قدره ٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي ربهما ثلاثة
في المائة واجر استهلاكها واحد في المائة ستتمكن به الحكومة العثمانية من
شراء سهام الدين الموحد) وهي سهام ايصال خطوط حديد الروملي باوروبا
المركزية) وقدّر هذا الدين ٨١٠٠٠٠ جنيه انكليزي وتتمكن أيضاً من
شراء مدرعتين من مدرعات الدرجة الاولى من أوروبا بمبلغ ١٤٠٠٠٠٠
جنيه انكليزي ولما كانت السهام المصدرة بثن ٦٠ في المئة سيحصل منها
٧٠٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي فيبقى للحكومة العثمانية من هذا المبلغ ٧٠٠٠٠٠٠
جنيه انكليزي حددت الدفعة السنوية لهذا القرض بمبلغ ١٧٣٠٠٠ جنيه
انكليزي وهذا في مقابلة مبلغ ٨٧٠٠٠ جنيه انكليزي كان يطلب للقرض
الموحد ومبلغ ٨٦٠٠٠ جنيه انكليزي كان ينتج من احتكار التبناك الذي منح
لاصحاب هذا القرض من سنتين

قد رأى القارىء فيما سلف ان الامر العالي الصادر في ٢٠ ديسمبر منح
لحاملي السندات التركية تلك الاجزاء من الدين العمومي التي ألزمت بها
معاهدة برلين كلا من حكومة البلغار واليونان والجبل الاسود والصرب
ولكن أوروبا قد تساهلت مع هذه الحكومات ولم تلزمها باداء ما قرض
عليها مع أن الحكومة العثمانية قامت بما قرض عليها في تلك المعاهدة
بصدق اضاع كثيراً من منافعتها وهذا يدل دلالة واضحة على عدم

ثبات الدول التي كان لها نواب في مؤتمر برلين ولولا ذلك لما رضيت أبداً بنقض تلك الحكومات الصغيرة ما أبرمته الدول الكبرى ووقع عليه نوابها سيتضح للقاريء مما نوردته عليه بالاختصار من اجزاء الدين التي ألزمت بها الحكومات المذكورة ومما عرضته الحكومة العثمانية من طرق تسديدها عرضاً رسمياً ومما في هذه الطرق من امارات العدل ودلائل الانصاف أهمية حل هذه المسئلة السيئة بالنسبة لتركيا ودأئنها وما ظهر فيها من اعتدال حكومة جلالة السلطان ظهوراً واضحاً

حكومة البلغار مدينة لخزينة الحكومة العثمانية بحسب الارقام المأخوذة من مصلحة الدين العمومي بمبلغ اسمي قدره ١٠٨٨٨٥٢٨٠ جنيتها مجيداً فائدتها واحد في المائة فاي دفع من الفائدة مسانحة يكون ١٠٨٨٨٥٠ جنيتها مجيداً وهذا المبلغ (الفائدة) هو الذي كان من الضروري تأصيله

إذا اعتبرنا ان متوسط سعر ربح سهام الحكومات في أوروبا أربع في المائة نستفيد انه لا يبقى على البلغار شيء مما لزمها من الدين بعد نهاية المدة المقررة لدفعه فان ربح الدفعة السنوية من راس المال الواجب عليها هو اربع في المائة

والمدة المقررة لاستهلاك المال مائة في السنة ففي هذه الاحوال يكون المبلغ اللازم لتعويض الدفعة السنوية وهي ١٠٨٨٨٥٠ جنيتها مجيداً

وجدت الحكومة المذكورة في هذا التدبير منة عظيمة من تقوية الثقة بها والحصول على الوفور المهمة الناتجة لها من المبلغ التي هي مدينة به للحكومة العثمانية هذه المزايا من شأنها ان تحملها على المشاركة في انفاذ ذلك المشروع وفي الحقيقة لو ان حكومة البلغار كانت تسير في دفع القسط الواجب عليها

من الدين مساهمة على طريق الحكومة العثمانية في الدفع (وهو الذي يجب عليها ان تفعله) لاضطرت في هذه الحالة ان تدفع في كل سنة مبلغ ٥٤٤٤٢٥ جنيتها مجيديا وذلك بسبب زيادة هذا القسط تدريجيا الى ٥٠ في المئة على حسب زيادة الواردات المتنازل عنها للدائنين وفوق ذلك ما كان يتيسر لها أبدا
أين تعرف المبلغ الذي يجب ان يحتسب لخزينتها من قبل ان تسدد الدين كله

فاذا تحamina خطر احتمال ما قد يعرض من الشك في لزوم دفع ذلك المبلغ في خلال مدة القرن المقررة لدفع الدين وقدرنا ما تدفعه حكومة البلغار كل سنة باثنين في المئة لكنت دفعتها السنوية ٢١١٧٧٠ جنيتها مجيديا في مدة مائة سنة فدفعها مبلغ ٢٠٨٦٥٠ جنيتها مجيديا مساهمة مدة خمس وعشرين سنة فقط هو اذن تدير كله فائدة لها

اذا بحثنا في اقساط الحكومة الاخرى من الدين كما بحثنا في قسط دين البلغار وجدناها كما ترى

قسط اليونان

جنيتها مجيدياً

يسدد في مائة سنة ان كانت دفعته السنوية (٢٨٤٥٩) جنيتها ٥٧٤٣٧٣ مجيدياً وربحه أربعة في المائة ويسدد في ٢٥ سنة ان كانت دفعته السنوية ٤٤٩٣١ جنيتها وربحه ستة في المائة

« قسط الصرب »

يسدد في ١٠٠ سنة ان كانت دفعته السنوية ٢٣١٨٢ جنيتها ٥٥٦٨٠٧٥

وربحه

وربحه أربعة في المائة يسدد في ٢٥ سنة ان كانت دفته السنوية
٣٤٠٨٤ وربحه ستة

« قسط الجبل الاسود »

يسدد في ١٠٠ سنة ان كانت دفته السنوية ١٠٨٨ جنيا وربحه ٤
يسدد في ٢٥ سنة ان كانت دفته السنوية ١٠٨٥ وربحه ٦

لو أن الدول التي وقعت على معاهدة برلين اختارت هذا التدبير الذي
هو غاية في سهولة الجري على مقتضاه ولا وجه للتفد عليه وألزمت الحكومات
المذكورة باتباعه لحصلت تركيا عاجلا على مبلغ ٣٨٣٦٣٤٧ جنيا مجدياً ولنقص
دينها بسبب ذلك المبلغ ١٩٠٠٠٠٠٠ في بعض سنين باستعمالها هذا المبلغ
استمالا رائده العقل والحكمة اللذان تبعتهما في تدبير جميع رؤوس أموالها
من عهد جلوس جلالة السلطان عبد الحميد على أريكة الملك

للدائنين الاوروبيين اذن أن يأسفوا على ان حكوماتهم لم تؤيد مطالب
تركيا الحقبة المبنية على الانصاف ولكن عليهم أن يتحملوا شهادة حق مدهشة
على صدق تركيا في الوفاء بمهودها وقدرتها على تنفيذ التزاماتها بأحسن طريقة
نافعة لمعاقديها

كانت السهام المكونة للدين العمومي العثماني معتبرة الى ذلك العهد في
معظم الاحيان كأنها مسائل ضمان استرباحية

ويحسن بنا أن نبحث الآن فيها كذا هل هذه هي قيمتها الحقيقية في
الوقت الحاضر أم لا

كان الدين العمومي العثماني في خلال العشرين سنة الاولى من تشكيل

ادارته يزداد على الدوام باصدار سهام جديدة ويستميل عددا كبيرا من أرباب
الاموال بسبب الفائدة المرتفعة التي كانت تعرض على مشتري سهامه ولما
حدثت حوادث سنة ١٨٧٥ تفرق من كانوا متكالبين على تلك السهام وبقيت
أسواق الاوراق المالية بأوروبا غاصة بها الى سنة ١٨٨١ ثم ابتداء دور آخر
لاقبال الناس عليها بعد الاتفاق المبرم في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨١ واستمر بلا
انقطاع مدة السنين العشر الاخيرة فاذا لم يتم الآن بيعها وكان لا يزال جزء
عظيم منها في الاسواق فليس ذلك الا لان حالة الدين الحالية وما حصل فيه
أثناء هذه السنين العشر من التغيير الكلي الناتج من الاصطلاحات التي منشأها
عناية جلالة السلطان لم يفهمها كثير من الناس حق الفهم ومع ذلك لو اننا سبنا
مبلغ الدين السنوي الى عدد سكان الدولة العلية وعدد ما فيها من الاميال
الاربعة وقارنا بينها وبين البلاد الاخرى لاوروبا في ذلك لنتج لنا من هذا
البحث الاحصائي حقيقتان (أولاهما) ان الدين العثماني أقل بكثير من معظم
ديون البلاد الاخرى باعتبار عدد السكان في كل منها (ثانيها) ان مساحة
أرض الدولة العثمانية لما كانت تسع من السكان أكثر مما فيها الآن بكثير
فيمكن اعتبار ان هذه الدولة لم يعمر الاخير منها فقط (لو صح أن يقال
هكذا) ولما كانت غنية تكبير مصادر الثروة الطبيعية كان ينتج من هذه
المصادر فوائد خارقة للعادة لو انها دبرت أحسن تدبير يؤدي الى الانتفاع
بها مما ذكر يتضح لك اذن ما تنوقل عن سهام تركيا من انتهاء طرق ضمان
استرباحية غير صحيح

قد قررت غرامة الحرب الروسية التركية في اتفاق ١١ مايو سنة ١٨٨٢
المبرم بين الحكومة العثمانية وحكومة روسيا وأخذت الحكومة العثمانية تسدد

هذا الدين الذي قدره (٨٠٢٥٠٠٠٠٠) فرنك أو (٣٥٠٠٠٠٠) جنيه مجيدي بدفعة سنوية قدرها (٣٥٠٠٠٠) جنيه مجيدي ومدة استهلاكه مائة سنة

ومما خصص لتسديد رسوم الاغنام والاعشار التي تحي من ولايات حلب وقونية وقسطمونى واطنه وسيواس وهى ايرادات كان مجموعها يبلغ الى سنة ١٨٨٢ مبلغ (٤٢٧٥٠٠) جنيه مجيدى لكن بسبب القحط الذى اكل آسيا الصوري وتركيا آسيا كما اكل المزروعات القليلة واستر عدة سنين قد قلت تلك الايرادات عما كان مقدراً لها وتسبب عن ذلك زيادة دين الغرامة فبلغ في سنة ١٨٨٨ الى (٦٠٠٠٠٠) جنيه مجيدي

وقد أبرم اتفاق جديد بين الحكومتين المختصتين بتصفية هذه المتأخرات من أقساط الغرامة أعطيت روسيا بمقتضاه أجزاء الخراج المتحصلة من ولايات حلب مع بقاء هذه حرة واعشار ولاية معمورة العزيز وبقيت روسيا تقبض في الدفعة السنوية مبلغ (٤٥٠٠٠٠) جنيه مجيدى عوضاً عن الدفعة الاصلية التي قدرها (٣٥٠٠٠٠) جنيه مجيدى وذلك مدة ست سنوات

أما التعويض الذى اشترط دفعه للتجار الروسين الذين كانوا يقيمون في تركيا وعصمت لهم خسائر من الحرب التي حصلت في سنة ١٨٧٧ فقد حددته اللجنة التي شكلت للبحث في مطالب أولئك التجار البالغ مجموعها (١٩٠٠٠٠٠٠) فرنك بمبلغ (٦٠٠٠٠٠٠) فرنك

وفي ديسمبر سنة ١٨٨٤ دفع قسط من هذا الدين وقدره (٥٠٠٠٠) مجيدي للدائنين ذوي الشأن

قد نشر جرنال المجلس التجارى بالقسطنطينية في ٧ ابريل سنة ١٨٩٢ مقالة عظيمة الشأن في الايرادات المتنازل عنها لمصلحة الدين العمومي هالك توجهها

انا نحفظ لافسنا الحق في أن ننشر في أقرب وقت كالعادة تقريرا مفصلا لمجلس الادارة خاصا بالايادات المتنازل عنه لمصلحة الدين العثماني عن أعماله في سنة ١٣٠٩ هجرية الموافقة لسنة ١٨٩٣ مسيحية المتداخلة في سنة ١٨٩٤

الا أنا قبل ذلك نقدم للقراء بعض الارقام الدالة على الحالة العمومية للدين في آخر السنة التي نهايتها ٢٨ فبراير سنة ١٨٩٤ مقارنة بها في سنة ١٨٩٢ المتداخلة في سنة ١٨٩٣

١٨٩٣-١٨٩٢ ١٨٩٤-١٨٩٣

سنة سنة

جنيه مجيدي

٢٥٠٨٧٦٠	٢٥٤٢٧٣٥	ايرادات مجملة من كل المصادر
١١٩٩٣٩	٣٥٠٢٧١	مصاريف الادارة ومصاريف آخر
<u>٢١٨٨٨٢١</u>	<u>٢١٩٢٤٦٤</u>	

« ايرادات صافية »

٢١٨٤٥٤٥	٢١٨٩٤٠٥	مبلغ ما يوجد في المصلحة المركزية
٢٣٢١	٢١٥٥٥	باقي المبالغ المخصصة للاستهلاك في السنة الماضية
<u>٢١٨٧٨٦٦</u>	<u>٢٢١٠٩٦٠</u>	
١٠٤٨٢٦	١٠٨٧١٥	باقي حساب يستنزله مما قبله
<u>٢٠٨٣٠٤٠</u>	<u>٢١٠٢٢٤٥</u>	

صاف

١٧١٣٠٧	٨٥٨٩٥	صاف للسهم المستهلكة خالص لمصلحة الدين
٢١٥٤٣٤٧	٢١٨٨١٤٠	
١٨٩٣ - ١٨٩٢	١٨٩٤ - ١٨٩٣	
سنة	سنة	يستزل من ذلك
٤٣٠٥٠٠	٤٣٠٥٠٠	ايراد القروض الممتازة
١١٦٣٥١	١١٦١٣٥١	ايراد القروض التي ربحها واحد في المائة المتنازل لاربابها
٩٤٥٩	٩٤٥٩	عن الايرادات المشار اليها بحروف (ا) و (ب)
		و (ت) و (ث) والسندات التركية
١٦٠١٣١٠	١٦٠١٣١٠	ايراد مصلحة القروض التي حصلت
		في سني ٨٦٣ و - ٦٤ و - ٦٥
		و ب ٧٣
٥٥٣٠٣٧	٥٨٦٨٣٠	باقى يستعمل في الاستهلاك
١٨٩٤ - ١٨٩٣	١٨٩٤ - ١٨٩٣	
سنة	سنة	
جنيه مجيدي		مبلغ الاستهلاك العادي
٢٩٢٨٩٥	٢٠٥٠٤٧	المخصص لشراء الداخل المدلول عليه بحرف (ا)
		وفيه ربح السندات المستهلكة
٧٤٣٢٩	٩٩٢٠٦	المخصص لشراء الدخل المدلول عليه بحرف (ب)
		وفيه ربح السهم المستهلكة
١١٥٥٤	١١٣٣٨	التأنيج من تحويل السهام الممتازة والمستعمل عادة في الاستهلاك
٥٤٠٢٧	٥٥٧٧١	مبالغ مشتملة على ربح السندات المستهلكة ومستعملة في الاستهلاك

٥٥٥٣٨	٥٨٢٧٤	الديون المضمونة بالائرادات المدلول عليها بحروف
		(١) و (ب) و (ت) و (ث)
٤٣١٣٩	٤٥٤٤٨	بمجموعها
٥٣١٤٨٢	٥٦٥٤٦٤	يضاف اليها
٢١٥٥٥	٢١٣٦٦	هذا المبلغ لاجل استعماله في الاستهلاك المستقبلي
٥٥٣.٣٧	٥٨٦٨٣٠	المجموع
متوسط الثمن	متوسط الثمن	

راس المال الاسمي المستهلك			
في خلال السنة في المائة جنيه انكليزي في المائة جنيه انكليزي			
٥١٦٠٠٠	٥٣٦٤	٤٨٩٠٠٠	٣٠.٥٧ (١)
٣٨٠٠٠٠	٣٠.٧٠	٤٠٤٠٠٠	» (ب) » »
٢٣٤٠٠٠	٢١.٥٨	٢٢٣٠.٨٠	» (ت) » »
١٨٦٠٠٠	٢١.٨	١٨٥٢٠٠	» (ث) » »
١٣١٦٠٠٠	٣٦.٧١	١٣٠.١٢٨٠	٣٩.٥٠

مبالغ مخصصة للاستهلاك

جنيه مجيدي

راس مال اسمي المستهلك	راس مال اسمي وأصلي	الجملة الاولى قدم حرف (١)
٥١٧٠.١١٠	٧١١٩٦٨٢	»
١٢٣٤٥٠٠	١٠٠٤٤٨٢٥	» الثانية قسم حرف (ب)
٨٤٢٨٨١	٣٠٥٤٩٢٢١	» الثالثة قسم حرف (ت)

حرف (ث) ٣٤٦٥١٩٦٥ ٧٥٧٥٠٠

الجملة الرابعة السندات التركية التي
ربحها ٥٨ في المائة

» ٢٠ في المائة ١٤٢١١٤٠٧ ١١٠٧٤١

» المشترك ٣٣٢٥٤٨

المجموع ١٠٥٥٧٧٣٣٠ ٨٨٢٨٤٧٩

يتبع هذا حساب تفصيلي للايرادات والمصروفات وهو

١٨٩٣ - ١٨٩٢ ١٨٩٤ - ١٨٩٣

سنة سنة

جنيه محيدي

ايراد المشروبات الروحية والملح وطوابع البوستة ١١٠٤٦٠٥ ١٠٩١٠٣٧
والاسماك والحرير ومتأخرات التبغ

أعشار التبغ ٩٥٣٥٩ ١٠٠٨٦٥

عوائد التبغ ٧٥٠٠٠٠ ٧٥٠٠٠٠

جزء من ربح الرسوم ٣٧٠٨٤ ٢١٧٤٥

خراج الرومي الشرقي ١٥٢٠٢٦ ١٥٢٠٢٦

سفاتنج على مصلحة الجمارك من أصل ١٠٢٠٥٦ ١٠٢٥٩٦

خراج جزيرة قبرص

وجراج التنباك ٥٠٠٠٠ ٥٠٠٠٠

٢٢٦٨٢٦٩ ٢٢٩١٦٣٠

مصرفات سنة ١٨٩٣ - ١٨٩٤ ١٨٩٣ - ١٨٩٢

جنيته مجيدى

٦٧٤٨٣	٨٣٥١٤	مصرفات الادارة المركزية لمصلحة الدين
٧٤٢	١٠٠٩	الحسارة الناتجة من تبديل الفضة
١٧٧٣٥	١٦١٨٨	نفقات وأجر عمل (عموله)
٨٥٩٦٠	١٠٠٧١١	المجموع
٢٨٧٨	٧٨٦١	فائدة الحطيطة في بيع الكمبيالات
٥١١٤	٦٣٠٨	يستنزّل من ذلك الربح على المبالغ المودعة وهو
٢١٨٤٥٤٥	٢١٨٩٤٠٥	المجموع

لما كان المطلع على الجداول المتقدمة يمكنه أن يقتنع بما جاء فيها فالنتيجة العامة لأعمال سنة ١٨٩٣ المتداخلة في سنة ١٨٩٤ هي أحسن وأدل على التقدم من نتائج أعمال السنين المتقدمة

قد نشر أخيراً تقرير المسيو فنان كيارد عن الدين الأهلى العثماني في سنة ١٨٩٣ المتداخلة في سنة ١٨٩٤ وهو يحتوي كالعادة على بيان مفيد لحالة دين المملكة العثمانية

قال المسيو فنان كيارد في هذا التقرير لاشك في اني أومل ان الإيرادات المتنازل عنها للدائنين يمكن أن تزيد في كل سنة زيادة مهمة كالتى تكلمت عنها في تقريرى عن أعمال السنة الماضية وان التقدم لم يظهر بعد علامته كما ظهرت في السنة المذكورة الا أن الامور يظهر أنها ستجرى في نفس مجراها
قد زادت جملة الإيرادات الى أن بلغت (٢٥٤٢٧٣٥) جنيهاً مجيداً يقابلها

في السنة الماضية (٢٥٠٨٧٦٠) جنيهاً مجيداً أو ٣٥ ر ١ في المائة

لكن من جهة أخرى قد زادت المصاريف مبلغ (٣٠٣٣٢) جنيتها مجدياً فاذا
قورنت سنة ١٨٩٣ المتداخلة في سنة ١٨٩٤ بسنة ١٨٩٢ المتداخلة في سنة ١٣٩٣
وجدنا ان زيادة الايرادات في الاولى عن الثانية هي (١١٠٦٣١) جنيتها مجدياً
أو ٣٧ في المائة

السبب الاول في زيادة المصاريف هو زيادة أجر العمال وهذه طريقة
اختارتها ادارة مصلحة الديون لتكفل بها نفسها الحصول على عمال اكفاء
خيرين بالاعمال فزيد في عدد المفتشين وكانت نتائج ذلك حسنة وسيكون
أثر هذه الاصلاحات أظهر في نهاية السنة الحالية

لاحظ المسيو فنسان كيارد أيضاً من جهة أخرى ان تحصيل الايرادات
كان يجري مع صعوبات عظيمة بسبب قلة الحاصلات الزراعية جداً وانحطاط
اعمالها في جميع الجهات ولكنه يفكر ان المبلغ المتحصل لا بد ان يكون
وافياً بالمطلوب واردف هذا بقوله بعد في هذا الموضوع (سيتضح لك ان
ايرادات سنة ١٨٩٣ المتداخلة في سنة ١٨٩٤ أحسن من ايرادات السنة الماضية
نم انك لا تسر كثيراً في هذا الموضوع لان انحطاط أسعار الجبوب قد شبط
هم المزارعين أو قلل موارد ارزاقهم وهذه المصيبة أصيب بها أمة زراعية
بطنها وهي الامة التركية ولا يبرج عن ذهنك أيضاً الحجر الصحي الذي
خرّب آسيا الصغرى بسبب وجود الكوليرا بها . وحينئذ في سنة لم تساعد
فيها الظروف كهذه قد ظهر من أوائلها ان الايرادات حفظت نسبتها مع
ان الاحوال في هذه السنة كانت أبعد من ان تكون أحسن منها في السنة
الماضية بل كانت اسوأ لكنني أظن من العبث ان نؤمل استمرار زيادة
ايرادات واذا جربنا عليه في السنة الماضية كانت النتيجة راضية

واليك عبارة السيوفنسان كيارد في تقريره عن مسألة المال الاحتياطي لزيادة ربح الدين العمومي قال * ان المال الاحتياطي يصل في اية سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٤ الي مبلغ (٢٢٤٨٩٣) جنيه مجيدي وسيصل في مارس سنة ١٨٩٣ الي مبلغ (٣٣٧٠٠٠) جنيه مجيدي فالآن ان أريد ان يدفع لمصلحة الدين مساهمة ربع الاحتياطي زيادة عما يدفع لها اقتضى ذلك وجود مبلغ (٢٩٢٧٠٠) جنيه مجيدي وحينئذ يكون الدفع ممكنا ولكن لا يستنتج من ذلك امكان حصوله عاجلا فان المادتين ١١ و ١٠ من الامر المالي المكرم يظهر من خواهما ان سعر الربح يلزم ان يقرر قانونا وهذا هو السبب في ايجاد المال الاحتياطي لم يكن ليتأتى لواضي هذا الامر ان يطلعوا على الغيب فيعرفوا ما يتعاور أسعار الربح من التغير وما ينتج من ذلك من التشويش المشكل في انفاذ مشروع الاستهلاك

ربما انهم كانوا يقصدون ان أسعار الربح اذا زادت تبقى على هذه الزيادة ولكي يقدموا لمجلس ادارة الديون الطريقة الكافلة لتحقيق هذه النتيجة منحوه الحق في ايجاد مبلغ احتياطي يمكن ان يؤخذ منه من المال حسب مقتضيات الاحوال ما يكمل به النقص من أحد نصفي السنة الي نصفها الآخر

ومع ذلك فهاهي عبارة مسيو فنسان كيارد في ابداء رأيه الذي هو متمسك به من غير شك كما قال في صحيفة ١٧ من تقريره قال هذا السيد هذه المجازفة دون جميع المجازفات يظهر انها أحسن تدبير في الامور المالية ولا يمكنني مع هذا ان انكر ان نص الامر المالي فيه دليل معقول جدا لاؤلك الذين يريدون ان يدفعوا فورا واحداً في المائة من الربح الذي هو أربعة في المائة وقد دفعه اكثر من حتى حصل من المال الاحتياطي المبلغ

اللازم

اللازم ولا يمد ثم حاجة الى البحث في ان سعر الربح يمكن ان يبقى على الدوام محفوظا من التغير أولا يمكن

ان كل من يحاول بعد هذا اشراب الافهام في الايام بقوله (الخلافة في قريش) ليس من قصده الا شق قلب عصا الاسلام بانارة الحواطر على بني عثمان لانه عامل من جهة الاعداء على الاجهاز على السلطنة الاسلامية ومحوها من لوح الوجود

قوله الخلافة في قريش متكأ يتكى عليه وهو نوكي لا يدري شيأ من الامامة المهمة التي قل ان توجد اليوم في انسان واقلها معرفة حال الزمان والمكان وسياسة البلاد والعباد

ولو ان قصده الصلاح والاصلاح كما يقول لنقب على الاسباب التي هي أس البلاء ومنبع جرثومة الشر وحاول علاجها من أقرب الطرق الموصلة اليها ان الباحث في حال انقلاب الامة لهذا الشقاء بعد السعادة والاستعباد بعد السيادة والذل بعد العز والفقر بعد الغني والضعف بعد القوة والجهل بعد العلم والظلم بعد العدل والفسق بعد المصصة حتى اذا قها الله لباس الجوع والخوف لما وجد علة ذلك ان الخلافة انتقلت من قريش وصارت الى بني عثمان لان جيراننا الذين سادوا علينا ليسوا بقرشيين بل ليسوا بمسلمين ولان الامة انتكست وادركها الاختلال أيضا والخلافة اذ ذاك في جرة قريش وتحولت وجوه مصالحها الى مضار ومفاسد والرائي يحكم ان كان منصفاً ان بعض القرشيين من ضمن الاسباب التي زادت الامة شقاء وتماسا

قالوا تبقي الدولة مع الكفر ولا تبقي الدولة مع الظلم وصدقوا ولا ظلم أظلم ممن ظلم نفسه واهلك أهله بالبدع الذي تنبه عروق الخلاف والتفرق

الذي هو مدعاة للفتنة ومبعث للشقاق والهرج الذي منه قولهم الآن
(الخلافة في قريش)

والدليل على سوء القصد انه لا يقدم بين يدي نصيحته علاجاً لما نحن
فيه وانما يلعب الى ما تعطل من أهم وظائف الامامة بحوادث الزمان أو الارتباط
الواقع بين الدول من نتائج فرط الاختلاط بين الامم ويشير الى تعطيل حدودها
بتسبيح النزاع والشقاق ويشمل ناراً كامنّة خادمة لذهب بطوائف الاسلام
التي اقرقت على ٧٣ فرقة وتلاشيها من الوجود

الهم لا سيطرة على الخلفاء ولا محاسبة على أعمالهم رضى الله عنهم اناقص
عليك ما دونه التاريخ لتعلم ان الفتنة التي بها بلينا في هذه الايام أيام سلطنة بني
عثمان لا تذكر في جانب مامر وتصرم وولاة أمورنا منهم ليسوا بأشد من
ارتقى عرش الخلافة من قبلهم لتحكم ان كنت منصفاً على حالك الذي أنت فيه
انا لا ننكر احوال التي بان بها قريش عن جميع العرب فضلاً عن
العجم من كل وجوه خصال الكرم من الثبات والتحمس وجزل المطاوا احتمال
المؤن الغلاظ وقري الاضياف ووصل الارحام والقيام بنوائب زوار البيت
والاختصاص بمدح القريمان والاشراف وانهم لم يشاركوا العرب والاعراب
في شيء من جفائهم وغلظ شهواتهم ويكفي اننا لم نر قريشاً انتسب الى قبيلة
من قبائل العرب وقد رأينا في قبائل العرب الاشراف رجالاً ينتسبون لقريش
كنحو الذي وجدنا في بني مرة بن عوف وبني سليم وفي خزاعة وفي قبائل
شريفة أخرى

ولكن تنير الاحوال وتبدل المظاهر واختلال الشؤون وافتراق الراعي
والرعية ومخالفة الشرع وعدم الاهتداء به والناس على مسمع مما شرعه الله

وفله رسول الله نسخ ما أحكم وأباح ما حظر وحظر ما أباح فتحولت القلوب
إلى وجهة أخرى

انتقلت الخلافة إلى بني أمية فاعطوا الملك حقه من الفتوح والغلب
والعدل في القضاء وحفظ الأمن والراحة ولكن لم يمنع أكثر انتمهم من
الانغماس في الترف والنم والاستبداد بالأعمال كافة والاسراف في النفقات
من بيت المال ولم يبلغ ملكهم قرناً واحداً حتى باد على يد الدولة العباسية
والتاريخ الذي شمل الكثير من حسنات عبد الملك بن مروان وسياسة وسيرة
عدل عمر بن عبد العزيز ومكانته دلنا أن هذه الفضائل غيض من فيض
في جانب فسق يزيد وسفه الوليد وغيرها من خلفاء تلك الدولة وانتهى هذا
الملك بالحياة والدمار لما حدث فيه من البدع والقوضى الدينية ووضع الاحاديث
واختلافها وتزعزع قوائم الدين وتفرق أهله شيعاً في معتقداتهم من حدوث
المذاهب المختلفة كالحوارج والمعتزلة والجبرية والحوادث المشؤمة التي ان
خفيت كلها لا يكتم منها اشهار السيف في وجه آل بيت النبي صلى الله عليه
وسلم من يد من يرجون شفاعتهم ويقرون بنبوته وهي الوخزة في قلب
الدين لم يندمل جرحها إلى اليوم لان طبيعة الوجود ساعدت على تدفق
سيرها حتى امتد بين أمم المسلمين ثم اجتهدوا وهم عرب قرشيون في إضفاف
سطوة العرب في الحجاز لان ضلعم كان مع الهاشميين وتمكنوا من ذلك
بواسطة عمالهم الظلمة كالحجاج وغيره حتي ان المؤرخين والمهدة على من روى
قالوا ان الوليد بن عبد الملك ما بنى تلك القبة على صخرة بيت المقدس وجعلها
بحيث يطاف بها الا ليحول الناس إليها عن الكعبة وكثر اضطهاد العلويين
في زمنهم فكان ذلك معرياً لقلوب مجيئهم على زيادة الشغف بهم وانتهى

بالفلو الذي تعلم

ثم دالت الدولة الي العباسيين فساروا سيرة حسنة الي عهد أبناء الرشيد لكن سم الاهمال لا يزال ساريا في جسد المملكة حتى استبدت بسبب البرامكة بالاحكام وكادوا ينفردون بالسلطة وفعل بهم الرشيد ما فعل وكذلك القوضى العلمية الدينية بقيت على حالها كأنما الخلفاء ناسون أمرها لاعاضد منهم لها ولا خاذل حتى قام المأمون وعلى علمه وفضله انتصر للمعتزلة فشق العقائد والمذاهب ثم نظر في امر العلويين مضطهدى بني امية فمهد بالخلافة لعل الرضا وغير قلوب بني العباس عليه حتى أرادوا خلمه وبايموا عمه ابراهيم ابن المهدي واضطهدوهم حتى قتل الكثير من عظمائهم سرا وجهرا وادي ذلك لجمع كلنهم ودفع بهم الي تأسيس خلافة مستقلة وهى الخلافة القاطمية التى ظهر معها مذهب الشيعة تمام الظهور وامتزج بمذهب الباطنية أتم امتزاج ثم جاء المعتصم فتغالي في الاعتزال حتى كانت فتنة القول بخلق القرآن واضطهد فيها الأئمة المجتهدون وظهرت الراوندية الذين قالوا بعبادة الخلفاء والباطنية ومنها الاسماعيلية وكثرت فرق الدهريين وهم أشد المصائب على الدين لتأييدهم بالقوة السياسية بانتصار الخلفاء القاطميين لهم ودعوتهم اليه وتمضيدهم بالقوة العلمية بما كان من اختلاط أقوال أصحابه بكلام غلاة المتصوفة الذين خاضوا فى الكلام الى ما وراء الحس فتابعوا الباطنية ان للقرآن معاني غير ما تعطيه اللغة وأساليها وفتحوا على الأمة باب التأويل واضلواها السبيل

كل هذا التفرق فى الدين كان منتشرأ والخلفاء قرشيون كل هذا الخلاف والانحلال والخلفاء وادعون ساكتون ساكتون لا يهتمون لجمع الناس ولا

لشد ازر الدين وترك هذا السير يجرف حتى أدى للفوضى الحقيقية في خلافة المعتضد وهي القيام على السلطان والخروج عليه والتظاهر بالمفاسد فهبت الكرمانية الكوفة في سنة ٢٨٥ وأغاروا في خلافة المكتفي على الشام وفلسطين وأوقفوا تجارة العراق والحجاز وحاصر رئيسهم أبو طاهر مكة وأخذها عنوة وهدم الكعبة واستباح الحرم بسفك الدماء وأخذوا الجزية من الخليفة القاهر والخليفة الراضي ثم سخر الله ملوك الحمدانية والاشيدية وهما من الديلم والأتراك فنكوا بهم وأزهقوا باطلهم ان الباطل كان زهوقا

اضمحلت الخلافة العباسية وتلاشت بما اضمحلت به الخلافة الاموية من الخروج عن العلم والمدالة ولكن العوارض الاخرى التي عرضت عليها كانت أشد بلاء من بنى أمية لان الفتن والبدع وتفرق الكلمة فيها وصل الى حد لم يكن في تلك

وأعجب ما في الامر ان الخلل في خلافتهم هذه بدأ في عهداً عظيمهم دولة ولما وهو المأمون ثم استفحل الامر حتى آل الى استبداد مواليتهم عليهم ثم الى مشاركة السلاطين لهم في ذكر أسمائهم في الخطبة ثم الى قناعتهم باسم الخلافة عن فقد السلطنة بالكلية

أعطى المأمون لطاهر ولايه خراسان يشغل بالحكم فيها لانه قتل له أخاه الامين ففتح باب الاستقلال بالحكم دون الخليفة وفرق السلطنة ومزق المملكة وأنفذ الخلل ثم أخذتهم الوحشة من أنفسهم وخافوا كيد بعضهم بعضا لانهم ظنوا بانفسهم سوءاً فاعتمدوا على الدخيل من المعجم والترك فتخللوا مجاميعهم وعرفوا دواخلهم وأدركوا فيهم وهنا وضعفاً لا ينبغي أن

يتصف بهما خليفة ولا سلطان وحسبك أن وصل هؤلاء الغرباء الى عزل الخلقاء منهم وأعجز المتوكل تلا في أمرهم

أهملوا أمر ممالكهم الغربية لا سيما في أفريقيا وآسيا فلموا أن التنازل استولت عليها لكانت الى يد غيرهم أسبق

انفردوا بالاحكام واستبدوا بها وجعلوا الخلافة بالمعصية حتى تولوها الجاهل والفاسق والظالم وأطلق المعتصم يده بالاسراف في مال المسلمين وصرفه في الشهوات وحرق المتوكل وزيره وسلط الوحوش عليه وبدا داره وسن سنة اعداد المآدب لرجال الحكومة وقتلهم

أين المسلمون يومئذ يناقشون هؤلاء الخلقاء الحساب بل أين هم من المسلمين في عهد سيدنا عمر بن الخطاب وهو يقول على منبره من رأي منكم في أعوجاجا فالية ومه فقال له رجل لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناه بسيوفنا فقال الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم عوج عمر بسيفه بل أين هم من المسلمين في عهد سيدنا عثمان بن عفان اذ جاءه أهل الامصار ينتصفون اليه في شأن بني أمية وافرأطهم في هذا الامر حتى أدى لقتل الخليفة لظلم بعض عماله

انظر لشعور المسلمين بقيود الشريعة التي توجب على الامام تحري مصلخة الامة في كل عمل يعملها وانه مؤاخذ على كل خطأ كيف دعي أهل الاقطار للوفود على سيدنا عثمان

تأمل الحرية الخلافة التي تبيع لعبد حبشى كبلال رضى الله عنه أن يقتل سيد بني مخزوم وقائح بلاد الرومان (الشام) بعامته على ملا من الناس ويقوده الي أبي عبيدة ليناقضه الحساب أو يبعث به الي الخليفة الذي أمر بذلك

ثم تفرع من هاتين الخلافتين الاموية والعباسية خلافة أموية في الاندلس والخلافة الفاطمية في مصر وهي من نتائج اقتراق العقائد في الدولة العباسية وعنها وعمما يتبهما كانت السلطنة التركية في مصر. ابتدأت الخلافة الاموية في الاندلس بالخليفة عبد الرحمن حفيد هشام وكان السبب في مبايعته اختلال النظام وجراءة ولايتها وحكامها على تكليف الرعية فيها فوق وسعهم بسبب بعد البلاد عن مركز الخلافة (بغداد) وصعوبة المواصلات فكانت من القبائل الحيرية والشامية والمراقية والمنافسة على قبائل البربر الافريقية مؤد عظيم الي تأليف حكومة مستقلة وفي أطوار ذلك علم القوم ان عبد الرحمن حفيد هشام الأموي فر من السفاح ولجأ الى قبيله زناتة أعظم قبائل افريقية فطمحت اليه الابصار وتعلقت به القلوب فاستقدموه فقدم وكان في قرطبة رئيسان من لدن الدولة العباسية يتنازعا على السلطة وقيادة المسكر فقاوماه أولا ثم سلما اليه وبايعه أهل الاندلس على الخلافة سنة ١٣٩ فصارَت الخلافة خلائفتين أموية في الغرب وعباسية في الشرق

كان الخلفاء الامويون في الاندلس خير خلفاء المسلمين بعد الراشدين وأقرب في سيرتهم الى الشرع الشريف وأبعد عن التسوق والبدع التي انفس فيها الاموي والدمشقي والعباسي والبغدادى

كان عبد الرحمن الاول عادلاً مصلحاً وكان ولده هشام محسناً حليماً كاملاً وكان عبد الرحمن الثاني كجده هشام في الحلم والعلم والكرم بل زيادة في الادب وكان محمد الاول والمنذر وعبد الله عادلين مصلحين . وجاء في آثارهم عبد الرحمن الثالث فجمع اشتهات الفضائل حيث أعطى القوتين العلمية والحربية فاجتهد في رفع منار العلوم والفنون وأدخل في اسبانيا علوم بغداد وبنى المباني

العظيمة التي كانت زينة قرطبة ومفخرها وانقاد له المازب الاقصي
سار هؤلاء الخلفاء سيرة حسنة ولكن الشقاق الذي زرعت شجرته
بدمشق وبغداد وامتدت فروعها لما يلي ذلك وكان من طلوعها الحيث الخروج
على السلطان وصل أمره الى الاندلس وتلبس بقلوب بعض الامة شره
عهد الخليفة عبدالرحمن لولده الثالث هشام الاول فكبر ذلك على أخويه
الكبيرين سليمان وعبد الله فخرجا عليه وحاولا سلب الخلافة منه والاستقلال
في بعض الولايات فتنب عليهما وعفا عنهما ثم خرجا بعده على ولده الحاكم
وطلبا قسمة البلاد

فأحدث هذا وهذا طمع الاستقلال في نفوس المال وكانوا يخفونه ابان
القوة ويستعدون لنوال المطامع سرا وما زالوا يتربصون بالخلفاء الشر حتي
بدا فيهم الضعف فأظهروا المضمر وتوالي المصيان والظلم كين في النفس القوة
تظهره والضعف يخفيه

والظلم من شيم النفوس فان تجدد * ذا عفة فلملة لا يظلم
نشأ البعث والفساد بجهة طرسوس لان واليها كان أشد الولاة فسادا في أرض
الاندلس وشدد ساعده سليمان وأخوه عبد الله أولاد عبد الرحمن
ثم اضرم القتال في شمالي البلاد ولاة سرا قسطه ومريده وطليلة وجوسقة
ثم توالى الثورات في المملكة حتي أورثتها الجبال والوبال وعصت
قرطبة الحكم بن هشام

ويقول علماء التاريخ ان سبب نزول البلاء بالبلاد حصر السلطنة في
شخص خليفة لانه متى كان الامر كذلك يكون الشقاء أقرب للامة من
السعادة لانها تابعة لشخص واحد اذا استقام استقامت واذا زل زلت
ويستدلون

ويستدلون ببدإ الضعف والانحطاط من عهد هشام الثاني لسوء تديره
وبعده عن السياسة وعجزه عن مقاومة الاعداء فانحطت مهابة الخلفاء وضعفت
شوكتهم واستفحل أمر الثوار والخارجين وكان النصارى في أثناء ذلك في
تقدم مستمر في الاعمال الجزئية فتجروا على المسلمين وطفقوا يناوشونهم القتال
وينتقصون البلاد من اطرافها وأولو الامر مشغولون ببلايا الفتن الداخلية
وسائر الناس قيمان العلماء وقد أوغلوا في فنون الادب اينالا صرفهم عن كل
ما سواه بل قادهم الى الترف والانغماس في النعيم المضمف للنفس عن
الحرب والجهاد (رأيت في الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب كتابا رفعه لسان
الدين بن الخطيب لمقام النبي صلى الله عليه وسلم يستشنع ويستنجد بفيض
من فيوضاته والاندلس اذ ذاك محاطة بالمدوّ احاطة المعصم بالسوار يندش
المطلع عليه مما يعتريه من الحيرة بين عبارة الكتاب التي تتمزق لها القلوب
من هول ما هي عليه بلاد الاسلام والمسلمين وبين الالفاظ التي نسق بها
الكتاب نسقا يز على الاديب الا بعد صفاء خاطر وراحة البال وطول الرياضة
وانقطاع الشواغل فلم أدر ماذا أريد بهذا الكتاب أطلب الشفاعة أم اظهار
البراعة

والصناع والزراع وهم اتباع كل ناعق لاسيا في الامم التي ليس فيها
تربية قومية أمية وليس لها رأي عام وكان من نتيجة ذلك ضياع البلاد والمباد
وضعف الدين وتشتت المسلمين وتحول المملكة الى شكل آخر

اما الخلافة الفاطمية فغير خلفائها العزيز فقد كان أدبيا شجاعا محبا للرياضة
الحربية كالصيد والسباق واشباههما وقد فوض امر الجند الى القائد جوهر
فاتح مصر لما رأي فيه من الكفاءة وفوض أمر الوزارة الى الوزير يعقوب

فاحسن هذا الوزير السيرة وحسنت البلاد في عهده وكان فاضلاً مصلحاً وأولكن لما كان تفويض الامر للأجاد ان جاء بالخير يوماً جاء بالشر ايأما فانه لم تكذب الناس تبشر بالاصلاح حتى ادركته المنية وولى بعده ولده الحاكم وهو حدث لا يتجاوز الاحدي عشرة سنة فظني الوزير ارجوان وصيه وبني ولما رشد الحاكم كان رشده عين النفي فقد غشيت العلم والدين والمسلمين والذمين ظلمات من ظلمه واستبداده وكفره وعناده المتولد ذلك كله من مرض في عقله وخلل في دماغه

ظهر في عهده مذهب الضرارية نسبة لرئيسهم ضرار استاذ حمزة فنصرهم الحاكم وادعى الالوهية وفتح سجلاً لكتابة اسماء المؤمنين به فكتب بالتسليم له سبعة عشر الفا ولقد كانوا كلهم أوجلهم مكرهين لانه كان ينتقم أشد الانتقام ممن يخالونه

وقد تأسس مذهبه وثبت في النفوس حتى أصبحت عبادته ديناً يدين به كثيرون لليوم فهل كان المسلمون بهذا الاستسلام مهتدين بهدي الاسلام هذا فعلاً عن سفك الدماء بغير ذنب ولا سبب بظلم أهل الذمة بدون سبب يهدم الكنائس في مصر والقدس ثم يبني كنيسة التمامة على نفقته، ثم يأمر وينهى بما لا يعقل حتى أصبحت الخلافة في عهده ملعبة لآعب

ثم جاء بعده المستنصر وفضلاً عن فسقه فقد كانت الامور تدار يد أمه التي كانت تتلاعب بتثيير الوزراء

وولي بعده الظافر وسنه سبعة عشر سنه قسقى ثم ضاق الامر بوزيره العباس فاغرى ولده هو بقتل الخليفة ففعل وقتل اخويه معه ثم ان الوزير ليبراً نفسه من تبعه القتل ولتخلص له الخلافة من جميع الوجوه ولي الفائر

القائز بن الخليفة المقتول وعمره اذ ذاك خمس سنين وجمع الامراء لمبايعته وحمله على كنفه وأمرهم بالطاعة والانقياد فصاحوا بالاجابة صريحة شديدة فزع لها الخليفة حتي بال على كتف الوزير

الى هذا الحد انحطت درجة الخلافة اوالى هذه الدرجة استهين بها بل انحطت الى أن كانت مصر تعطي للصليبين ضريبة عظيمة في القدس ليكفوا عن الاغارة على غزة وعسقلان وقوي الحلل واستفحل أمره حتى أدبر أمر الخلافة بيد اليهودى مولى الامة السوداء أم المستنصر التى كان اشتراها أبوه الظافر وبید صالح بن رزبك الارمنى الاصل وغيرهما كما تراه مبينا في مواقفه من كتب التاريخ

ثم أدي هذا الفساد فى البلاد والعباد والولع بالملاهي والفرام بالنساء والبعد عن الدين والسياسة والاقتناع بالسلطة الكاذبة وسناع القتيلان والاستمتاع بالحسان وعدم المبالاة بما يهدد الملك من أعدائه الى ابادة هذا الملك

وانتهى الخلل بمجيء الملك الحازم الكردي صلاح الدين الأيوبي فأزال هذه الخلافة الفاسدة المضرة وأسس الدولة الايوبية وأخضعها للدولة العباسية ليلى شعب المسلمين ويوحد كلمتهم

فقا جاته الحروب الصليبية المعروفة وجبر الاسلام على يد هذا الملك بعد ما كسر واشتعلت نيران الحرب .وعلى طول مدتها وكثرة أعداء الدين فيها لم يأخذ بناصر السلطان صلاح الدين لا أموي ولا عباسي بل خب فيها وحده ووضع حتى سهل له الله القمع الذى لا تزال الايام تنعشه والازمان تتحلى به وتفتخر

والعثمانيون في ذلك الوقت في شبيبة عزهم وسطوتهم وأوائل نهضتهم
ونزعتهم فهل يلامون على قيامهم في ركن من أركان الأرض لا صلاح شيء من
أمر هذا الدين والملك الذي قارب بناؤهما أن ينقض وهو تراث كل مسلم
قاموا بمصيبة ملك لا غاصيين ولا ساليين فلموا شعث من حولهم
وأصلحوا أمور من انضم إليهم حتى لجأت لهم الخلائق مما هم فيه من سوء
المذاب من غيرهم

قاموا بنفوس عاشقة للمجد مجدة في سبيل التفخار فلازموا الحرب والفتح
حتى أن أول سلطان توفي في القسطنطينية هو السلطان سليم الثاني وهو
الحادي عشر من سلاطين آل عثمان والباقي استشهد في معامع القتال ومواطن
الحروب فلم تكن السلطنة فيهم اسما بلا مسمى بل امتدت بالعزة اللائقة بها
حتى نفذت سطوتها في بلاد العرب والهند وتوغلت في البلاد الأوروبية
ووقفت سلاطين الأتراك للوكها خصما يدفع غارتهم عن بلاد الإسلام
إلى الآن

(من يقدر على تكذيب قائل إذا قال لولا الترك لكانت بلاد الإسلام
كلها كاسبانيا . من يقدر يكذبه إذا ادعى أن لا مكة ولا مدينة لولا الأتراك)
ثم توصلوا إلى أن أحيوا قلب الخلافة الشريف وجعلوا للمسلمين مؤثلا
وحفظوا بيت الله وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم والبيت المقدس وأخذوا على
أنفسهم أمر حمايته وحاربوا من أجله وحاربوا ولقوا من أوروبا من العناء
والبلاء ما لقوا مما لا يحتمله ويعبر عليه إلا كل بائع حياته في سبيل الله وحب
نصرة دينه . وم مع كل هذا على ما فطروا عليه غير مباليين بأعدائهم ولا
فالكثين عهداً مع من والام

فالذي يذود هؤلاء عن السلطنة الاسلامية انما يذود مستحقا عن
حقه ملكوا ففتحوا وفتحوا فتوسعوا

تأسست دولة الترك في سنة ٦٩٩ هجرية فقام قائمهم المرحوم السلطان
عثمان في بر الاناضول على ما بقي من آثار الدولة السلجوقية التي اندرست في
سنة ٦٩٢ فشاد حكومتهم وأسس ولقب بالغازي لشجاعته

وكانما كانت تلك الحروب الصليبية واخفاق مسماها وظهور السلطان
صلاح الدين على القائمين بها حتى أركسهم وجعل عليهم سافهم بمنزلة الارهاص
لظهور دولة الترك ولتشهد تلك الزخوف الاعجمية وبساتهم وليذوقوا سطوة
السيف التركي وليفهموا ان الاتراك اذا أرهفوا اشغار المزائم ووطنوا
النفوس على استمذاب الموت لا يشبههم من الشعوب أحد

ابتدأت الفتوحات فافتتحوا في سنة ٧٢٠ هجرية مدينة بورصة ونقلوا
كرسي المملكة اليها وهوجت اليونان وافتتحت اكثر بلادها وتقدم الجيش
التركي حتى أشرف على خليج القسطنطينية وخليج كليبولي ثم اجتازوا بغاز
جناق قلعه وفتحت مدينة كليبولي الممتدة بمثابة مفتاح الاستانة

ثم افتتحوا مدينة أدرنة واقليمي الصرب والبلغار وأخضعوا معظم
مقاطعتي مكدونيا وبلاد الارناؤد وشتوا شمل أهالي الصرب والافلاخ
والجر والبلغار حينما تألبوا عليهم وشقوا عصا الطاعة

ضموا الممالك التركية المستقلة في الاناضول وأعادوا فتح مكدونيا وبلغاريا
بمد عصيانها وزحفوا على قارة أوروبا واستولوا على مدينة سالونيك وشنوا
الغارة على الجبر

ثم حولوا وجهتهم الى الاستانة وشرعوا في حصارها وكادوا يفتحونها
لولا غارات تيمورلنك المعلومة

ثم نقلوا كرسي سلطنتهم الى أدرنه ورتبوا بحريتهم وأخذوا في محاصرة
القسطنطينية وما زالوا بها حتى صالحوا أهلها على دفع الجزية وترك جميع البلاد
التي في ضواحي الاستانة وأن يتنازلوا عن جميع القلاع والحصون التي تحت
تصرف الروم على شواطئ البحر الاسود وسواحل الروم ايلي ومملكة تساليا
وجميع البلاد التي داخل برزخ كورنتوس وتقدموا حتى دخلوا بلاد موره
الى هنا انتحر صبر أوروبا غيظا ولم يحتمل أهلها هذا التقدم السريع
والفتوحات المستمرة وأخذ الجزية من أهل القسطنطينية وخشيت على
الممالك النصرانية الباقية من سطوة الجيش التركي وشدة بطشه فقامت باول
حرب صليبية ضد الاتراك

نهض بهذه الحرب أوجينوس وعقد التحالف بين الدول الافرنجية
لمقاومة المسلمين وقام ملك المجر وبولونيا بمساكر النصارى مع يوحنا
هوينارس الشهير وكان لهم مع الاتراك ممركتان عظيمتان ثبتت فيهما عساكر
الترك وصدوم على قتلهم بكل بسالة وانمقد الصلح بين الفريقين

فلما سكنت تلك الفتن والقتال مدة يسيرة قام الملك بورسلاس
ونقض الهدنة فاقتتلوا على سواحل البحر الاسود وهزمت جيوش النصارى
وقتل ذلك الملك

ثم قاموا الى جهة الارناؤد وأخضعوا ملكها يوحنا وحقنوا على قسطنطين
الذي كان اميرا على باقي بلاد المورا والاقليم المجاورة لها فأخضعوهم بعد
خوب طويلة

ثم تولى بعد ذلك السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح وأتت الساعة التي أراد الله استبشار العالم الانساني بعمله الشريف. وهو ذلك الفتح الذي كان حاجة في نفس كل مسلم كما قدمنا فتح القسطنطينية الذي استقبلت ارواح الشهداء فيه أرواح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحظائر القدسية بالابتهاج والبشرى. الفتح الذي صعدت فيه أرواح الفزاة ترفرف أسرابا اسرابا متحلية برشاش دم الشهادة متضخمة بمسكه متزينة بخضابه تثير الاجداد في برازخ الارواح بنصرة أولادهم المسلمين. الفتح الذي أحيى الدين وامات الشرك

زحف عليها رضى الله عنه بجيشه وعمارته وأحال البر بحرا كما قدمنا من تسيير السفن على اليبس وحاصرها حتى فتحت وهو ساجد لم يرفع رأسه من السجود الا بعد سماع التكبير وحقق الله قول نبيه عليه الصلاة والسلام (لتفتحن القسطنطينية فثم الامير أميرها ولنم الجيش ذلك الجيش)

لم ينقل كرسي السلطنة العثمانية للقسطنطينية الا وقد ثارت حرب صليبية أخرى هياها البابا كاليكنوس وحرص لها طوائف المسيحية والامم الافرنجية وأثارهم على محاربة الاتراك فهضوا له والتقوا معهم في بفراد وصدوم وقتل قائد جيش المجر

ثم عادوا للفتح فافتتحوا آينا واستولوا على مدينة طرابزون وهي المملكة الوحيدة التي كانت باقية من آثار المملكة الشرقية ثم ولاية سنوب وتملكوا اقليم بوسنه وافتتحوا جزيرة أغرنوز من أعمال البندقية ثم زحفوا واستولوا على جانب عظيم من بلاد البغدان وعلى بلاد بولونيا

ثم تنازل السلطان بايزيد لابنه السلطان سليم الاول فقصدها جهات المعجم

وهزم القرس واستولى على دمشق وحلب وقصد الديار المصرية واستولى عليها وتشرف باستلام مفتاح الحرمين واحراز اسم الخلافة ثم زحفوا على جزيرة رودس وبعد ان استولوا عليها عادوا لمحاربة النصارى وحاصروا عاصمتها (فينا) واقاموا عليها الحصار ولم يبرحوا حتى عقدوا الصلح معهم واخذوا الجزيرة منهم

ثم اقتحموا بغداد وتبريز وجملة جزائر في الارخبيل الرومي للجمهورية البندقية وبينما هم يفعلون ذلك كانت جنودهم على شواطئ بلاد العرب تمنع فتوحات البورتغال وتستولى على اراضي عدن وبعض اليمن ثم استولوا على بلاد تروان وكردستان وطرابلس الغرب وجزيرة قبرص وجزيرة كريد وجزيرة سافس

هذا كله من سنة ١٣٠٠ ميلادية الى سنة ١٦٩٥ تقريبا وهو حال لا تقوى عليه الا الهمم العالية التي اتخذت مثال الصدر الاول في اطوارهم وابدوا المبادي الشريفة وبدلوا ما يجب عليهم من القيام بحماية ما اسند اليهم من امر الامة

ارتقت درجة الدولة العلية بسلاطينها الى درجة أوجبت أوروبا ان تستعين بها وتلتجئ اليها في حروبها مع بعضها كما فعل كارلوس ملك السويد والنرويج حينما حاربه الروسيا في عهد بطرس الاكبر في سنة ١٦٩٦ هؤلاء السلاطين هم الذين انسلخت باشمتهم ظلمات الشرك واستبان بوميضهم منهج الدين وان لم يكونوا من صميم العرب وبعيدين عن سروات عدنان وبيوتات قريش ومعادن الخلافة

ولكن ذلك البعد لم يكن في المزايا الانسانية والكمالات البشرية والتزام

حدود الشرع والاستتمساك بمرور الدين وانتهاج نهج السلف الصالح لان هذا بلغوا فيه مبلغا حمل بعض نقاد المؤرخين على إدماج بعضهم في مصاف الخلفاء.

مذا تقول في دين السلطان صلاح الدين والسلطان نور الدين والسلطان عثمان والسلطان محمد الفاتح وعفتهم وحزمهم ونخوتهم ونجدهم وزهدهم وتواضعهم وجمعهم بين شهامة الملوك وعظمة السلاطين وبين دعة الزهاد وسكينة النساك مما لو دون لكان خير نظام للدول وأحسن قانون تمخوذ علي مثاله الشعوب والام فضلا عن كرم الاخلاق وطيب النفوس والوقوف عند حدود الشرع مع معاهدتهم حتي تمكنوا بهذه الصفات أن يصدوا غارات اعداء الدين ويفلوا غربهم وينظروا في شؤون البلاد بما يلائم حال أهلها ويسددوا سهامهم في نحر العدو ويمكنوها من عوالبه

ان التصاق بعض هذه المزايا بنفوس العثمانيين وممازجتها لارواحهم يحملنا علي الحكم بدوام دولتهم واقتدارهم علي حفظ استقلالهم من صولة الصائل.

وان من أخص غرائز القوم البسالة والحمية وقد هذبهم الملك ودربتهم الآداب واخطوا لانفسهم خطط التقدم وحسن الادارة ولكن كيدأوروبا أوجب عليهم أن يتكبحوا

وقد كثر في الامة القارئ والكاتب والخطيب والبلغ وسرى حب الوطن في الله ودارت الكلمة في ضروب كتاباتهم وخطبهم ومؤلفاتهم فالعثمانيون كما قال سياسيههم الشهير المرحوم كمال بك (نحن العثمانيين فتحنا القسطنطينية بثلاثة آلاف رجل ولا نسلها الا اذا بقي منا ذلك العدد) فعلمنا تلك الوطأة

واشتدت الضغطة فانهم صابرون عليها حتي يستخدموا القرص فلا يفررك سمي
الساعين في ازهاقها ولا يهولنك دأب الاعداء المفررين في اسقاطها فان حجر
الماس لا يفتته صدم ولا يسحقه صك

❦ الخاتمة ❦

قد بلغنا بالقارئ فيما نظن الفرض من تعريف الحال الذي صرنا اليه
وأسابه . وبيننا ان دعاة الاصلاح لم يصيبوا المرمى وقد بقي علينا الكلام في
تهيين موضع الداء والبحث عن طريق الدواء وانا مقتصرون في ذلك على ما
نحفظه عن حكيم رأى ما نحن فيه فقال فيه قولا يدل على سبره الامر واختباره
الحال فمسانا نبلغ به تذكراً وعظة واعتباراً يوقف الحواطر على فعل الخير المنتظر
ان كانوا من أهل الخير ومن يعرف الحق فيتبعه ويدرك الباطل فيجتنبه

❦ قال الحكيم ❦

أرايت أمة من الامم لم تكن شيئاً مذكوراً ثم انشقت عنها عماء العدم فاذا هي
بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الاركان شديد البنيان يدور بها سياج
من شدة البأس ويحيطها سور من منعة المم تخدم في ساحاتها عواصف
النوازل وتحل بأيدي مدبريها عقد المشا كل نمت فيها أفنان العزة بعد ما ثبت
أصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها
وتخذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكلت القوة فاستعلت آدابها على الآداب
وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقيها ومعاصريها وأحست
بشاعر سواها من الامم بأن لا سعادة الآ في انتهاج منهجها وورود شريعتها
وصارت وهي قليلة العدد كثيرة الساعات كأنها للعالم روح مدبر وهو لها بدن

عامل وبعد هذا كله وهي بناؤها وانثر منظومها وتفرقت فيها الالهواء وانشتت
المضا وتبدد ما كان مجتمعا وانحل ما كان منعقدا وانفصمت عري التعاون
وانقطعت روابط التضامن وانصرفت عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار
كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلح في مناظره بارقة من حقوقها
الكلية والجزئية وهو في ذببة عن ان ضروريات حاجاته لا تنال الا على أيدي
الملتحمين معه بلحمة الامة وانه أحوج الى شد عضدهم من تقوية ساعده والى
توفير خيرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الغيبة في سبات يخيله الناظر اليه صحوا
وذبول يظنه المغرور زهوا وأخذ القنوط بآمال أولئك المدهوشين فأبادها
وحدثت فيهم قناعة الهمم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر للحق في خيال
أحدهم أو استفزه داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرفا أو يبيد لها مجداً عده
هوسا وهذيانا أصيب به من ضيف في الزاج أو خلل في البنية أو حسب أنه
لو أجاب داعي الذمة لماد عليه بالوبال وأورده موارد الهلكة أو لصار من
أقرب الاسباب لزوال نعمته ونكد معيشته ويحكم لنفسه سلاسل من الجبن
وأغلالا من اليأس فتقل يده عن العمل وتقف قدماء عن السعي ويحس
بعد ذلك بنهاية العجز عن كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك
ما أتى اسلافه من قبله وتجمد قريحته عن فهم ما قام به أولئك الأباء الذين
تركوه خليفة على ما كسبوا وقيما على ما أورثوه لاعتابهم ويبلغ هذا المرض
من الامة حدا يشرف بها على الهلاك ويطرحها على فراش الموت فريسة
لكل عاد وطعمة لكل طاعم

نم رأيت كثيرا من الامم لم تكن ثم كانت وارتفعت ثم انحطت وقويت
ثم ضعفت وعززت ثم ذلت وصحت ثم مرضت ولكن أليس لكل علة دواء

بلى وأسفاه ما أصعب الداء وما أعز الدواء وما أقل العارفين بطرق العلاج كيف يمكن جمع الكلمة بعد افتراقها وهي لم تفترق الا لان كلا عكف على شأنه * استغفر الله * لو كان له شأن يعكف عليه لما انفصل عن أخيه وهو أشد اعضائه اتصالا به ولكنه صرف لشؤن غيره وهو يظنها من شؤن نفسه نعم ربما التفت كل الي ما هو فطرة كل حي من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا يدري من أي وجه يحصلها ولا بأية طريقة يكون في أمن عليها كيف تبث الهم بعد موتها وما مات الا بعد ما سكنت زمانا غير قصير الي ما ليس من معاليها. هل من السهل رد لثائه الي الصراط المستقيم وهو يعتقد ان الفوز في سلوك سواه خصوصا بعد ما استدر المقصد وفي كل خطوة يظن انه على مقربة من الخطوة كيف يمكن تنبيه المستغرق في منامه المبهج باحلامه وفي أذنه وقر وفي ملامسه خدر. هل من صيحة تفرع قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة تتباعد أنحواؤها وتتناهى اطرافها وتباين عاداتها وطبائنها. هل من نبأ تجمع أهواؤها المتفرقة وتوحد آراءها المتخالفة بعد ما تراكم جهل وران غبن وخيل للمقول ان كل قريب بعيد وكل سهل وعسر أيم الله انه شيء عسير يمي في علاجه النطاسي ويحار فيه الحكيم البصير هل يمكن تعيين الدواء الا بعد الوقوف على أصل الداء وأسبابه الأولى والموارض التي طرأت عليه ان كان المرض في أمة فكيف يمكن الوصول الي علله وأسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فيه من تنقل الاحوال وتنوع الاطوار أي يمكن لطبيب يعالج شخصا بعينه ان يختار له نوعا من العلاج قبل ان يعرف ما عرض له من قبل في حياته ليكون على بينة من حقيقة المرض والا فان كثيرا من الامراض تتولد جراثيما في طور من أطوار العمر ثم لا تظهر الا

في طور آخر لتغلب قوة الطبيعة على مادة المرض فلا يبدو أثرها
• كلا انه ليصعب على الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص س. نو عمره
محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة مدة طويلة الأجل
وافرة المدد لهذا يندر في اجيال وجود بعض رجال يقومون باحياء أمة أو
ارجاع شرفها ومجدها اليها وان كان المشبهون بهم كثيرين وكما ان المتطبب
القاصر في الامراض البدنية لا يزيد علاجه بالمرض الا شدة لولا مساعدة
الاتفاق والصدفة بل ربما يفضي المريض الي الموت كذلك يكون حالة
الذين يقومون بتعديل اخلاق الامم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب
أعتلاها ووجوه العلة فيها وانواعها وما يكتنف ذلك من العادات وما يوجد في
افرادها من المذاهب والاعتقادات وحوادثها المتتابعة على اختلاف مواقعها
من الارض ومكانتها الاولى من الرفعة ودرجتها المالية من الضعة وتدرجها
فيما بين المنزلتين فان اخطأ طالب اصلاحها في اكتناه شيء مما ذكرنا تحول
الدواء داء والوجود فناء فن له حظ من الكمال الانساني ولم يطمس من
قلبه موضع الالهام الالهى لا يجزأ على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح
ما فسد منها وهو يحس من نفسه أدنى قصور في اداء هذا الامر العظيم علما
أو عملا نم يكون ذلك من محبي الفخفة الباطلة وطلاب العيش في ظل
وظائف ليسوا من حقوقها في شيء

ظن اقوام في هذه الازمان أن امراض الامم تعالج بنشر الجرائد وانها تكفل
انهاض الهمم وتنبيه الافكار وتقوم الاخلاق كيف يصدق هذا الظن وانا
لو فرضنا ان كتاب الجرائد لا يقصدون بما يكتبون الانجاح الامم مع التنزه
عن الاغراض فبعد ماعم الذهول واستولت الدهشة على العقول وقل

القارئون والكتابون لا تجد لها قارئاً ولئن وجدت القارئ فقلما تجد القام والقام قد يحمل ما يجده على غير ما يراد منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوي فلا يكون منه الا سوء التأثير فيحسبه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضفا

على أن المهمة ان كانت في درك المبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث ان هذا وحقك امر ز

ويظن أقوام آخرون ان الامة المنبثة في اقطار واسعة من الارض مع تفرق اهوائها واخلادها الى مادون رتبتها بدرجات لا تحصر ورضاها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعا لسيادتها راضخا لاحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف باوروبا حتي تتم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومتي تمت المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة وما أبعد ما يظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر للامة على ما تكره ازمانا حتى تذوق لذته وتجنّي ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائباً عن سلطته في تنفيذ ما أراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بشقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف ودوائه فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تفي ولو كان للامة هذان لما عدت من الساقطين

فان قالوا يمكن التدرج مع الاستمرار والثبات وافقناهم على الامكان

لولا

لولا ما يكون من طمع الاقوياء حتى لا يدعوا لها سبيلا لان يستشفوا
نسيم القوة فاين الزمان لنجاح تلك الوسائل الطيبة الاثر

على انالو فرضنا مسألة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان تكفي
ابث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شيأ فشيأ فهل يصح الحكم
بان هذا التدرج يفيدها فائدة جوهرية وانما يصيبه البعض منها يهيبه للكمال
اللائق به ويمكنه من القيام بارشاد الباقي من أبناء أمته

واعجبا كيف يكون هذا وان الامة في بعد عن معرفة تلك العلوم القريبة
عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها وأثمرت واينت
وبأى ماء سقيت وبأي تربة غذيت ولا وقوف لها على الناية التي قصدت منها في
مناشئها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان دخل اليها طرف من
ذلك فانما يكون ظاهرا من القول لانبأ عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن
بان مفاجأة بعض الأفراد بها وسوقها الي اذهانهم المشحونة بغيرها يقوم من
أفكارهم ويعدل من أخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم

لعل الاقرب ان ناقل تلك العلوم وهم من أمة هذا شأنها مع ما ينمكس
اليهم من الاوهام المألوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه
من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخلط غريب
لا يزيد طبائنها الا فسادا

ماذا يكون من أولئك الناشئين في علوم لم تكن يتابعها من صدورهم ولو
صدقوا في خدمة أوطانهم يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تملوه كما
سمعه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطباعها وما مرتت
عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضيعه ولبعدهم عن أصله ولهوهم

القارئون والكتابون لا تجد لها قارئاً ولئن وجدت القارئ فقلما تجد القام والقام قد يحمل ما يجده على غير ما يراه منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوى فلا يكون منه الا سوء التأثير فيحسبه غداء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضفا

على أن الهمة ان كانت في درك المبوط فن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تجبه منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث ان هذا وحقك لم نر

ويظن أقوام آخرون ان الامة المنبثة في اقطار واسعة من الارض مع تفرق اهوائها واخلادها الى مادون رتبتها بدرجات لا تحصر ورضاها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعا لسيادتها راضخا لاحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف باوروبا حتي تتم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومتي عمت المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة وما أبعد ما يظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر للأمة على ما تكره ازمانا حتى تذوق لذته ونجى ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائباً عن سلطته في تنفيذ ما أراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تنفي بشقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف ودوائه فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تنفي ولو كان للامة هذان لما عدت من الساقطين .

• فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات وافقناهم على الامكان

لولا ما يكون من طمع الاقوياء حتى لا يدعوا لها سيلا لان يستشفوا
نسيم القوة فاين الزمان لنجاح تلك الوسائل الطيبة الاثر

على انا لو فرضنا مسالة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان تكفي
ابث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شيأ فشيأ فهل يصح الحكم
بان هذا التدرج يفيدها فائدة جوهرية وان ما يصيبه البعض منها يهبطه للكمال
اللائق به ويمكنه من القيام بارشاد الباقي من أبناء أمته

واعجبا كيف يكون هذا وان الامة في بعد عن معرفة تلك العلوم القريبة
عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها واثمرت واينت
وبأى ماء سقيت وبأي تربة غذيت ولا وقوف لها على الناية التي قصدت منها في
مناشئها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان دخل اليها طرف من
ذلك فانما يكون ظاهرا من القول لانبأ عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن
بان مفاجأة بعض الأفراد بها وسوقها الي اذهانهم المشحونة بغيرها يقوم من
أفكارهم ويعدل من أخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم

لعل الاقرب ان ناقل تلك العلوم وهم من أمة هذا شأنها مع ما ينعكس
اليهم من الاوهام المألوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يظمونه
من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخلط غريب
لا يزيد طبائنها الا فسادا

ماذا يكون من أولئك الناشئين في علوم لم تكن ينايعها من صدورهم ولو
صدقوا في خدمة أوطانهم يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تملوه كما
سموه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطباعها وما مرنت
عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولطوهم

بمحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتیه يظنونہ علی ما بلغہم ہو الکمال لكل نفس والحیاء لكل روح فیرومون من الصغیر ما لا یرام الا من الکبیر وبالکس غیر ناظرین الا الی صور ما تلموہ ولا مفکرین فی استعداد من بمرض علیہم وهل یكون له من طباعہم مکان یحمد أو یزیدها علی ما بها اضافا وما هذا الا لکونہم لیسوا أربابها وانما هم لها نقلہ وحملہ

فهؤلاء الصادقون الآ من وفقہم الله منهم ببنائہ الالہیة یكون مثلہم کثل والدۃ حنونة یلد لها غذاء فتفیض منه علی ولدها وهو رضيع لیساهما فی اللذۃ وسنہ سن البان لا یقبل سواه فیدرع الیہ المرض وینتہی بہ الی التلف فتکون منزلتہم من الامۃ منزلة الآلۃ المحلۃ . یشتون بقیۃ الجمع ویبددون أخریات الاثام ان کان الفساد أبقی للقوم بعض الروابط فهؤلاء المنرون ینشونہم بما یدہلہم عنہا وما قصدوا الا خیرا ان کانوا مخلصین ویوسعون بذلک الحصاص حتی تعود بفعلہم أبوابا ویباعدون ما بین الضفاف حتی تصیر میادین لتداخل الاجانب تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحین یدہبون بامتہم الی الفناء والاضمحلال وبئس المصیر

شید العثمانيون والمصريون عدداً من المدارس علی النمط الجدید وبمشوا بطوائف منہم الی البلاد الغربیۃ لیحملوا الیہم ما یحتاجون له من العلوم والمعارف والصنائع والآداب وكل ما یسمونہ تمدنا وهو فی الحقیقۃ تمدن للبلاد التي نشأ فیہا علی نظام الطبیعۃ وسیر الاجتماع الانسانی. هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لانفسہم من ذلك وقد مضت علیہم أزمان غیر قصیرۃ هل هم أحسن حالا مما کانوا علیہ قبل التمسک بهذا الجبل الجدید

هل استنقذوا انفسہم من أنياب الفقر والفاقة

هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم
هل أحكموا الحصون وسدوا الثغور
هل نالوا بها من المنعة ما يدفع عنهم غارة الاعداء عليهم
هل بلفوا من البصر بالمواقب والتصرف في الافكار حدا يحل عزائم
الطامعين عنهم

هل وجدت فيهم قلوب ما زجتها روح الحياة الوطنية فهي تؤثر مصلحة
البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا وان بادت في
سبيلها خلفها ورأت على شاكلتها كما كان في كثير من الامم
نم ربما يوجد بينهم أفراد يتفقهون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية
وما شاكلها ويصوغونها في عبارات متقطعة بترآء لا تعرف غاياتها ولا تعلم
بدايتها ووسموا أنفسهم زعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يختارون
ووقفوا عند هذا الحد ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من
العلم فقلبوا أوضاع المباني والمساكن وبدلوا هيآت المآكل والملابس والقرش
والآلية وسائر الماعون وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك
الاجنية وعدوها من مفاخرهم وعرضوها معرض الباهات فنسفوا بذلك
ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا أعراض الزينة بما يروق منظره ولا يحمده
أثره فأماوا أرباب الصنائع من قومهم وأهلكوا العاملين في المنهن بمدم
اقتدارهم أن يقوموا بكل ما تستدنيه تلك العلوم الجديدة والكماليات
الجديدة لان مصانهم لم تحول الى الطراز الجديد وأيديهم لم تعود على الصنع
الجديد وثروتهم لا تسع جلب الآلات الجديدة من الهلاد البعيدة وهذا جدع
لانف الامة يشوه وجهها ويحط بشأنها وما كان هذا الا لان تلك العلوم

وضعت فيهم على غير أساسها وجفأتهم قبل أوانها
علمتنا التجارب ونطقت مواضى الحوادث بأن المقلدين من كل أمة
المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذوكوي لتطرق الاعداء اليها وتكون
مداركهم مهابط الوسوس ومخازن الدسائس بل يكونون بما أقممت أفئدتهم
من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثالهم مشؤما على أبناء أمتهم
يذلونهم ويحقرون أمرهم ويستهيئون بجميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض
رجال الأمة بقية من الشمم أو نزوع الى معالي الهمم انصبوا عليه وأرغموا من
أنفه حتى يمحى أثر الشهامة وتخذ حرارة الغيرة ويصير أولئك المقلدون طلائع
لجيوش الغالين وأرباب الفارات يهدون لهم السبل ويفتحون الابواب ثم
يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطتهم ذلك بأنهم لا يعلمون فضلا لغيرهم ولا
يظنون ان قوة تعالاب قواهم

أقول ولا أخشى لو ما لو كان في البلاد الاقنانية عدد قليل من تلك
الطلائع عند ما تطلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبد الآبدين فان
نتيجة العلم عند هؤلاء ليست الا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم
واستقبال مشارق فنونهم فيبالغون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى
يزالوا الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم
ولهذا لو طرق الاجانب أرضاً لأية أمة تري هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم
ويعرضون أنفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدومهم ويكونون بطانة لهم
ومواضع لشقتهم كأنما هم منهم ويمدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم
وعلى أعقابهم

فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة بعيدة الاثر لو صحت الضمائر

فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا مارأينا من آثارها والوقت ضيق
والخطب شديد. أي جمهوري من الاصوات يوقظ الراقيين على حشايا الففلات
أي قاصفة تزعج الطباع الجلمدة وتحرك الافكار الحلمدة. أي نفخة تبث
هذه الارواح في أجسادها وتحشرها الى مواقف صلاحها وفلاحها

الاقطار فسيحة الجوانب بعيدة المناكب . المواصلات عشرة بين الشرق
والتربي والجنوبى والشمالى والرؤس مطرقة الى ماتحت القدم أو منفضة الى
ما فوق السماء ليس للابصار جولان الى الامام والخلف واليمين والشمال ولا
للإسماع اصناء ولا للنفوس رغبات ولا لهواء تحم وللساوس شيطان . ماذا
يصنع المشفقون على الامة والزمن قصير. ماذا يحاولون والافكار محدقة بهم
بأي سبب يتمسكون ورسل المنايا على أبوابهم لا أطيل عليك بحثاً ولا أذهب
بك في مجالات بعيدة من البيان ولكنني أستقت نظرك الى سبب يجمع
الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل أرسل طرفك الى نشأة الامة التي خملت
بعد النباهة وضعت بعد القوة واسترقت بعد السيادة وضيمت بعد المنعة
وتبين اسباب نهوضها الاول حتى تتبين مضارب الحلل وجرائم الملل فقد
يكون ما جمع كلمتها وأنقض هم أحادها ولحم ما بين أفرادها وصعد بها الى مكانة
تشرف منها على رؤس الامم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها انما
هو دين قويم الاصول محكم القواعد شامل لانواع الحكم باعث على الالة
داع الى المحبة مذك للنفوس مطهر للقلوب من أدران الحساس منور للعقول
باشراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من مباتي
الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادى بتمتعديه الى جميع فروع
المدينة * فان كانت هذه شرعتها ولها وردت وعنها صدرت فما تراه من

عارض خللها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الاصول ونبذها ظهريا وحدوث بدع ليست منها في شئ اقامها المتقنون مقام الاصول الثابتة واعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما تاتي لاجله وما أعدته الحكمة الالهية له حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجابا بين الامة وبين الحق الذي تشعر بنداؤه احيانا بين جوانحها فملاجهما الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها والأخذ باحكامه على ما كان في بدايته وارشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران الفيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولان جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من احقاب طويلة والقلوب مطمئنة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم باحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نقشها في جميع الارواح لاقرب وقت فاذا قاموا لشؤونهم ووضعوا اقدامهم على طريق نجاحهم وجعلوا اصول دينهم الحققة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد أن يبلغوا سبيلهم منتهى الكمال الانساني ومن طلب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوي هذه فقد ركب بها شططا وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الانجسا ولا يكسبها الا تمساها هل تعجب أيها القارئ من قولي ان الاصول الدينية الحققة المبرأة من محدثات البدع تنشئ للامم قوة الاتحاد واتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهي بها الى اقصى غاية في المدنية * ان عجيبت فان عجيبي من عجبك اشد هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثه الدين من المهجبة والشتات واتيان الدنيا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها ونور عقولها وقوم اخلاقها

وسدد احكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت معقولاً بثلثها في غفلة عن لوازم المدنية ومقضياتها نهبها شريعتها وآيات دينها الى طلب القنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الي بلادهم طب بقراط وجالينوس وهندسة اقليدس وهيئة بطليموس وحكمة افلاطون وارسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل امة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنياتها في التمسك باصول دينها اهـ

وقد جاءت الحوادث مصدفة لما قاله هذا الحكيم لان الباحث في امر المسلمين يجد لاول وهلة لن لاخلاف في أن الشعوب الاسلامية في أسوأ الاحوال ويرى البلايا والنوئ المحتاطة بهم من كل مكان متحدة ومتفقة وسريان عامل الفساد والانقلاب الموجب للتنازع والحلاف الداعي لتغيير فطرتها الروحية واحد واتسكك الرابطة الجامعة المنحلة بالتراخي والانحرف عن اجابة داعي العقل الي الوفاق والاتحاد حاصل بشهوة واحدة واتجام واحد * ويرى ان كل امة من الملل أخذت تترقى في هذا العصر باوفر نصيب الالة الاسلامية ظاهر ذلك على صفحات الجرائد والسنة التلغرافات واخبار البريد ورواة الاحاديث على اختلاق طبقاتهم وعاداتهم ودياناتهم ومواقفهم من الارض

فالوثنيون لهم دولة قوية قامت وجارت اوروبا وسايرتها خطوة بخطوة وضربت معها بكل سهم وهي أعز دولة شرقية الآن الا وهي اليابان * تراها مجددة في طريق المدنية وقد الفت الامتيازات التي هي في الحقيقة ونفس الامر حكومة داخل حكومة * والحبشة وهي الامة التي ترميها اهل المدنية بالتوحش عقدت العقود وكتبت العقود ووقفت لاكثر من دولة من الدول وقهرتها

وتمرضت لمن ناواها من الدول الأوروبية وظفرت بكل ما طلبته في سلم وحرب*
فان كان في الشرق روح خبيث يحول دون الشرقي كما يتوهم المتوهمون فلماذا لم
يلامس هذا الروح غير المسلمين أليس من ذكرناهم شرقيين* اليس اليهود
وم جماعات قد سبقوا حكومات أوروبا ولم يتوقفوا على حكومة ونهضوا
حتى ملكوا المراتب والوظائف فضلا عن معرفة سبل الكسب بأسبابه
ووسائله وأوروبا الآن تتبرم منهم وتضطهدهم بكل مكان متبوؤن كل قطر
وكل قطر بلادهم* لا بد من التسليم لذلك الحكيم بان انحطاط هذه الملة اتى
من مفارقة علة ارتقاؤها ونشأتها وتقدمها وهو الدين الذي جمع الكلمة
وانهض الآحاد* ولم يكن من جهة اختلاف طبائع الاقطار لانهم يسكنون
كل أرض ويتبوؤن كل قطر ومن بلادهم الحار والبارد والمتوسط والمعتدل

ان أصول الاديان وتعاليمها وآدابها كلها صحيحة متينة وهي في الديانة
الاسلامية أصح وأمتن وهي الاس المتين لجمع الكلمة مع ارتقاء الآخذين
بها الي أوج الفضائل والاشراف على جميع الناس وفيها الهداية التامة لانواع
العلوم والفنون ولا خلاف في ان انحراف المسلمين عن جادتها هو الذي
سلبهم ما كسبوا فلا سبيل لارجاع سيادتهم واجتماع كلمتهم الا رجوعهم اليها
ان لم يكن هذا الانحذال سببه مفارقة الدين عرفى كيف تفعل شرذمة
ما لا تقدر مئات من الملايين ان تفعله لاجرم اما ان تكون هذه الشرذمة
ارتقت عن أفق الانسانية الى عالم سماوى أعلى أو تكون تلك الملايين انحطت
عن أفقها الانسانى الى أفق البهائم المعجاوات يذهل المتفكر اذا أمعن النظر
في جيش لا يزيد عن العشرين الفا في عهد الدولة الاموية يفتح البلاد تحت
قيادة قتية بن مسلم الباهلى الي ان يصل كلشتر ببلاد الصين وبين ان يرى

تسعة ملايين من الجاوة مثلا كلهم شوافع لا يتوسطهم خارجي ولا يتبطنهم
شيعي مستسلمين لثمانية آلاف عسكري هولاندي أو سبعين مليوناً من
المسلمين في الهند محكومين بكذا عسكري انكليزي كيف لا يحكم بان اسلام
هؤلاء غير أولئك والا لتناسبت الطباع بين الطرفين

والذي يريد احياء تعاليم الدين وفضائله وآدابه لا يحتاج للحرب ولا
بتكليف الخوارق والمعجزات لان الذين يراد احياءه فيهم معتقدون بان جميع
ما جاء به حق وان معجزة القرآن باقية الى الابد وانما الذي يصد عن الارشاد
والتعليم هي بذور الشقاق القريبة التي تبذرهما الاجانب بين المسلمين وهذه
لا تتكاف لدفعها بشيء غير عدم الالتفات اليها والتحقق بانها زخرف باطل
وشهوات تغلب على الارواح فتكتنفها ولا تزال بها حتى تورثها الخول والخود
وتسير بها في طريق الفجور والشرور وتفتح عليها أبواب الحراب والدمار
يكفيها اعتقاد العلماء ان هذا الاصلاح مطلوب منهم وموكل لهم وهم
المسؤولون عنه بين يدي الخالق والمخلوق فيشربوا قلوب القوم معاني الدين
الحقيقية حتى تستمد ضمهاء الابدان لتلقى روح الحياة فيجتمع شريقتهم وغريبتهم
ويميدون اليهم مجددهم

يلافون البدع والتعاليم الفاسدة التي جمعت المسلمين شيعة واذقت بعضهم
بأس بعض ولا تزال تزيد في الامة تفريقا حتى زعزعت العقائد وافسدت
الآداب وجرات الناس على استباحة المحظورات واصبح بها اقبح الاثر في
الموائد والاعمال والاخلاق

يخلف كل من وقف على اسباب انتشار الدين الاسلامي بان هذا الدين
ضيمته اصحابه ولو وجد دعاة لما بقي صنم يعبد ولا هيكل يقصد ولا بيعة تشاد

ولا كنيسة تقام ولظل الناس يدخلون فيه افواجا من الملل حتي لا تكون فتنة
ويكون الدين كله لله

مصاب وأي مصاب ان اصحاب هذا الدين الشريف لم يكتفوا بعدم
الدعوة اليه حتي اوقفوا سيره باقوالهم واعمالهم المخالفة لهديه

صار الحمل ثقيلًا على اكتاف المسلمين واصبحوا مسخرين للاوروبابوين
لانهم انسوهم بما حملوه اليهم من تقاليدهم وتعاليمهم النغلة الدينية المأمورين
بها وذموالهم الدين وانسوهم آدابها حتي صار لا يستأنس منهم عقل ولا رشد
اضاعوا فخر النبله وقهر الحجة وقبلوا الالهانة في دينهم ودينام

أى رجل معتوه يقول ان أوروبا تاركة لدينها وتقاليدها القديمة ونصائح
رؤساء الاديان فيها ان أوروبا تمض على دهنها بالنواجذ ولم تصل الي ما وصلت
اليه بالعلل الظاهرة لنا التي هي عبارة عن تعليم القنوز وتلقي العلوم الا بعد اصلاح
ذاتهم في خاصة انفسهم بالاصلاح الديني الذي هو رأس الحكمة والصلاح
بلغ مقدار اعتناء المسيحيين بامر دينهم ان جبانة مدينة بيشه في مملكة
ايتاليا المسماة (كامبوساتو) أى الميدان المقدس في وسطها مربع طينه كله
مجلوب من أرض اورشليم جلبوه على المراكب تبركا بتلك الطينة المقدسة
يزرعون فيها الازهار والاعشاب التي تراحبها مقابر موتاهم

واعجب من هذا الكنائس الطوافة التي تمخر في الانهر مثل ما يشاهد دوا ما
في نهر السين بين بون دى لو كونكاروبين دي سلفريتو وهذه الكنائس
مرسلة من قبل الجمعية الانجيلية البريطانية بغية ان يصلح فيها الذين هم في
حاجة الي المبادئ من القايمين على ضفاف الانهر والكنائس بعيدة عنهم
تأمل لعلاقات الشعوب البلقانية مع رؤسائهم ديانة وسياسة وانظر لملاقة

ايرلاندا مع فرنسا من جهة المتقدم سرح الطرف في امر الحرب
الاميريكانية الاسبانيولي واثرها المخلف عند امتي الحريه انكلترا وفرنسا فقد
كان ضلع الاولى مع الاول والثانية مع الثانية
ان عوامل السياسة مهما انحرفت فنصائح أرباب الدين وعلاقة الدين في
القلوب لا تزول

كل هذا كان يدعو أهل العلم ان يهتموا بامر الدين وينبهوا المواطنين
والنفوس حتي يرد هذا السيل الجارف الذي أحاط بالملة

اذا كان جماعة (تركيا الفتاة) دعاة للاصلاح وأهل بصر بالنظر في شؤون
الامة والسير بها لي طريق يؤدي الي مواطن الراحة والسعادة كما يقولون
وقد ارادوا ان يتألموا بمآلهم هذا سعادة الحياة وحياة السعادة لا يحلون عقدا
ولا ينكثون عهدا فما بالهم يثيرون احقادا كامنة من ورائها ضرام وأي ضرام
ويطيب لهم النوم على هذه المزعجات التي تراها بل ما بالهم يزيدون في الطين
بله ويظهرون من المعاتب ما خفي ويفترون على الدولة الكذب

تحسبهم احرارا وهم عبيد ينفذون ارادة غيرهم جاعلين الاجنبي وصيا
عليهم في عملهم لانهم دعاة لاوروبا مؤيدين لسياستها ولو لا ذلك لم يحتجوا
على فساد سياسة الدولة والسلطان بحوادث الارمن التي سمع الاصم وشاهد
الاعمي تدبيرها بيد الاعداء لقلب كيان الدولة

قاموا بدعوتهم ولم يجذبوا لهم وجهة الا أوروبا ومصر ولم ندر كيف
تنصرهم أوروبا ان كانوا على الحق أو كيف يكونون من أهل الحق وهم
يمضدون مطالبها

ان أوروبا لو كانت وقفت نفسها لازالة كل فساد كما تقول فلم تلم تمرض

لا غاة أهالي كوبا كما تعرضت لاغاة أهالي كريد على ان الظلم في كوبا كانت مما لا ريب فيه لان حمل أهلها على المصيان والظلم في كريد مزعوم به لان نيران الثورة التي شبت بالدسائس التي سادفت النفوس الحبيثة المجبولة على القتل والشغب كما وصفهم اكابر المسيحيين ومنهم المقدس بولس في رسائله فراجعها ان شئت

لا يندع الانسان بانتصار بعض الدول للدولة في مسائل مخصوصة كحرب القرم أو اخضاع محمد على باشا في مصر فذلك لاسباب مخصوصة مقصورة نص عليها المؤرخون المدققون وظهرت نتائجها كما قالوا ومنها ابتلاع مصر وغيرها

أما مصر فقد أصبحت في حال لا تصلح معه لا لحل ولا لمقد فما الذي ينفونه من أهلها وهم مغلوبون على أمرهم لو أرادوا الخير ما قدروا عليه لاشك انهم تخيروها لان هذا النعيق يسر الانكليز دوامه ليشغل الدولة عن أعمالها في مصر وان كان في وسط قوم لا يملكون لانفسهم نفا ولا ضرا انقطع الامل من أهل أفريقيا لان اغلبهم أصبحوا لا يتأدبون الا بأداب الاوروباوين وقد هجروا آداب الدين والاثمار باوامره ونواهيه وأصبحوا لا يفتخرون الا بفضائل أوروبا ومناقبها (كصر وتونس والجزائر) وباقيهم على المهجية والجاهلية كالسودان والمغرب وما بينهما يمدون عن التأثير بالقبيلة التي نحن فيها

فان كانت جماعة تركيا الفتاة تريد الاصلاح حقيقة وتحتمل عبء الدعوة واتقيام فعلها بالقوم الذين فيهم جوامع الفضائل التي تتكون بها الامم وتقوم بها الدول . ولن تجدد ذلك الا في قارة آسيا . مهط النبوات ومنبت جرائم

الجبر والسعادة فيها ثلاثة واربعون مليوناً من النفوس الشريفة كلهم أحناف من سلالة المغول اولئك اللذين دكو الرواسي ودوخوا الممالك بالزنايم القويمة وزعزعوا عروش السلاطين وانتهبوا ثمرات الايام ولم يرضخوا للذل والهوان ولم تلامس ارواحهم خصال السوء كالجبن والرياء والكبر والنفاق والكذب والوقاحة والحيانة واشباه ذلك مما اشتهرت به طوائف المسلمين في الشرق واصبح علما لهم عند اوربا وسمة يعرفون بها

ماذا على دعاة الاصلاح لوضموا هذه القلوب الى قلوب العثمانيين ولحموا بينها بلحمة النسب والدين والجنس بل بلحمة جامعة المصيبة التي تجمع المدوم مع عدوه فضلا عن اليقين

ماذا على دعاة الاصلاح لو ذكروا هؤلاء بسلطنتهم العظيمة المعروفة بسلطنة كيوجاك التي أسسها أحدكم باتوخان بن زعيمهم جنكيز خان في القسم الجنوبي من روسيا في القرن الثالث عشر من الميلاد. ماذا عليهم لو ذكروهم بما صارت اليه دولة روسيا في ذلك الوقت من الاضمحلال حتي عبر عنها مؤرخو تلك الاجيال بانها صارت مملكة تترية * وكيف لا تكون كذلك ولم يبق منها مستقلا الا مدينة موسقو التي تأسست سنة ١١٤٧ ميلادية

ماذا عليهم لو ذكروهم بالحراج الذي حملته روسيا الي خاناتهم خانات التتر عن يدوهم صاغرون مدة اكثر من قرنين من سنة ١٣٤٠ الى سنة ١٤١٨
ماذا عليهم لو ذكروهم بحقيقة امرهم وعرفوهم ان القائم العثماني واحد منهم وان المسلة ملتهم ومأحراهم ان ينضم الجنس للجنس .

ماذا عليهم لو كشفوا لهم عن معالم الحقائق التي حجبها التضليل والتمويه وأظهروا لهم صور اليقين التي تنكرت على أبصارهم وأرشدوهم الي ما يحتاجون

اليه من آداب واصلاح حال
ربما يطوف في نفوس القوم طائف النيرة على بلادهم وقومهم وأصل شعبهم
بعد هذا الياس والقنوط المستمر وينتهون فينظرون الى هذه الاعمال التي
أطمعت الاجانب في البلاد حتي نازعتنا أسباب الحياة والبقاء وساهمتنا في الماء
والهواء

ربما حملتهم النصيحة الى انتهاج منهج الاصلاح بعد ان اتخدعوا وقاموا
فطالبوا الذين استأثروا بجميع المنافع واماتوا فينا كل كمال من لغة وجنسية
وادب ودين ونفوذ وصناعة وتجارة وافقدوا الامة استقلالها حتى هوت
في هاوية الياس وتقطعت بها أسباب الرجاء

ربما عملوا للوطن والامة خيرا لانهم أمة مجتمعة (والعمل للوطن من
خواص الامة المجتمعة) ولم تضرب بينهم أوروبا بسور التقاطع والحقد والحسد
والبغضاء ولم يكونوا امشاجاً واخلطاً من أجناس وشعوب شتى مثل بقية
طوائف المسلمين

هناك موضع الدعوة بين الذين سبق لهم القبض على ازمة المنافع
وامتلاك البلاد ولهم عناية كبرى بهذا الامر وفيهم خيرة تكوين الممالك
والامم قولاً ومعملاً ولذة الغلبة نصب اعينهم لاتفوتهم أبداً

كل فرد من أفرادهم مفروس في قلبه حب حياة امته وبلاده والعمل
لشرف وطنه فلو انهم يرشدون الى الخير الذي سترت ابوابه الاعداء الالقاء
ويستبين لهم الحد الذي يجب أن يقفوا عنده من جمع الكلبة واستنهاض
النفوس لوجدت قويمهم أعان ضعيفهم وغنيهم أمد فقيرهم وراشدهم
هدي ضالهم وعالمهم علم جاهلهم حتى يضعوا لانفسهم حدوداً ويشرعوا في

تذكير اعمالهم السابقة ويقوموا فيها بما ترشد بهم اليه فطرتهم الطبيعية
لم تذهب ولن تذهب منهم تلك الملكات القاضية كالصدق والامانة
والوفاء بالهود والمحافظة على الشرف والرحمة بالضعيف والاقدام على نصيحة
الاقوياء والاعتراف بالحقوق وسمو النظر الي الرغائب السامية
هذا ما نراه من العلاج ومن الناس من يتكلم بغير هدي ولا عقل منير
فيسمك كلاماً غير معقول

ينصحك بالالتجاء لدول اوروبا والاعتماد عليها في الزام الدولة بالاصلاح
على الوجه الذي يرويه أو تراه تلك الدول وغاية هذا الرأي تسليم البلاد لهم
ومنهم من يرى ان لا اصلاح الا بتقليد اوروبا في جميع الشؤون شبرا
بشبر وذراعاً بذراع وهو على اطلاقه اضلال أي اضلال . ومنهم من اكتفى
بالاسف والتحسر وقال ان اصلاح الحال لا يكون الا من جهة الحكام واذا
كان صلاح الحكام ميؤسا منه فالاصلاح كذلك

وذهب بعض المثرثرين في هذا الموضوع الي أن الاصلاح يتوقف على
نهوض الامة والزامها الحكومة بما تريد منها بثورة كثرة الفرنسيين مثلاً
وقد جرب هذا في البلاد التي ارادت اوروبا ابتلاعها مثل مصر ولا يزال
المسلمون يتململون من سموم لدغاتها ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين
الهم انا نسألك أن تبث هذه الهمم بعد الموت . وترد التائه الى الصراط

المستقيم بعد القوت . حتى يرجع الى حسن المعتقد بعدما استدبر المقصد
الهم ايقظ المستغرق منا في منامه . المبتهج بلطف أحلامه . حتي يعلم بان
اليقظة خير من الرقاد . والإلثام والاتحاد أجمع لحصال الرشاد من التفرقة والذناد
الهم ارفع وقرآذاننا ونبه خدر اعصابنا وتفضل علينا بصيحة على لسان

عبد من عبادك نسمة افتقر قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة تبا عدت
انحاذها بالفساد وتناءت اطرافها بالشقاق تباينت عاداتها وطبائنها بالشحناء
فتخشع من هية صوته فتجتمع اجتماع الفازع ثم تسكن وتتأجى فى أمرها
اللهم نبأه تجمع الالهولاء المتفرقة وتوحد الاراء المتخالفة حتى ترى الحق
حقا فتنبهه والباطل باطل فتجنبه . اللهم قلب قلوبنا التى بين اصبعيك
لينفض عنها غبار الجهل المتراكم ويحول غين الجبل الذى ران عليها فتفيق من
غفلتها وتستنير بنبراس الحكمة . اللهم بكاء ونواح . وعويل وصياح . واستياء
واتفاق على الداء والدواء واشترائك فى الاعمال كاشترائك فى الاقوال واتحادى
الفكر للاتحاد على النتيجة التى هى اجتماع الكلمة والاتفاق على الالتفات
حول لواء الخلافة ومناجاة المشرق والمغرب لاعلاء كلمة الدين ودفع الضرر
عن المسلمين والعمل فى طاعة رب العالمين آمين

❖ تم ❖

